

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله " تسليمًا كثيرًا أما بعد:

فإن الأولاد أمانة في أعناق الوالدين، والوالدان مسؤولان عن تلك الأمانة، والتقشير في تربية الأولاد خلل واضح، وخطأ فادح؛ فالبيت هو المدرسة الأولى للأولاد، والبيت هو اللبنة التي يتكون من أمثالها بناء المجتمع، وفي الأسرة الكريمة الراشدة التي تقوم على حماية حدود الله وحفظ شريعته، وعلى دعائم المحبة والمودة والرحمة والإيثار والتعاون والتقوى ينشأ رجال الأمة ونساؤها، وقادتها وعظماؤها.

والولد قبل أن تربيته المدرسة والمجتمع يربيه البيت والأسرة، وهو مدين لأبويه في سلوكه الاجتماعي المستقيم، كما أن أبويه مسؤولان إلى حد كبير عن انحرافه الخلقي⁽¹⁾.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: = وكم ممن أشقى ولده، وفلذة كبده في الدنيا والآخرة بإهماله، وترك تأديبه، وإعانتة على شهواته، ويزعم أنه يكرمه وقد أهانه، وأنه يرحمه وقد ظلمه، ففاته انتفاعه بولده، وفوّت عليه حظه في الدنيا والآخرة، وإذا اعتبرت الفساد في الأولاد رأيت عامته من قبل الآباء+⁽²⁾.

¹ () انظر: نظرات في الأسرة المسلمة، د: محمد الصباغ، ص 154 وأخلاقنا الاجتماعية، د/مصطفى السباعي، ص 155

² () تحفة المودود في أحكام المولود لابن القيم، ص 146_ 147

والحديث في الصفحات التالية سيكون عن التقصير في تربية الأولاد وذلك من خلال الوقفدات التالية:

- التحذير من التقصير في تربية الأولاد.
- من مظاهر التقصير والخطأ في تربية الأولاد.
- تساؤلات.
- صور مشرقة من تربية السلف لأولادهم.
- مناقشة.
- السبل المعينة على تربية الأولاد.

وأخيرًا أسأل الله بأسمائه الحسنی وصفاته العلیّ أن يصلح لنا النية والذرية، وأن يعيننا على أنفسنا وأولادنا؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه، والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم.

محمد بن إبراهيم الحمد
الزلفي ص.ب: 460
www.toislam.net

التحذير من التقصير في تربية الأولاد

كما أن للوالدين حقاً على الأولاد_ فكذلك للأولاد حق على الوالدين، وكما أن الله عز وجل أمرنا ببر الوالدين_ فكذلك أمرنا بالإحسان إلى الأولاد، فالإحسان إليهم والحرص على تربيتهم_ أداء للأمانة، وإهمالهم والتقصير في حقوقهم_ غش وخيانة.

ولقد تظاهرت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة_ أمرةً بالإحسان إلى الأولاد وأداء الأمانة إليهم، محذرة من إهمالهم والتقصير في حقوقهم.

قال_ سبحانه وتعالى: [إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا] (النساء: 58).

وقال: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ] (الأنفال: 27).

وقال: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ] (التحریم: 6).

وقال النبي: " = كلکم راعٍ ومسؤول عن رعيته؛ فالإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته + (1).

وقال: = ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاشٍ لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة + (2).

من مظاهر التقصير والخطأ في تربية الأولاد

¹ () البخاري مع الفتح .
² () رواه البخاري 13/112 ومسلم (142) .

بالرغم من عظم مسؤولية تربية الأولاد إلا أن كثيرًا من الناس قد فرط بها، واستهان بأمرها، ولم يرعها حق رعايتها، فأضاعوا أولادهم، وأهملوا تربيتهم، فلا يسألون عنهم، ولا يوجهونهم.

وإذا رأوا منهم تمرّدًا أو انحرافًا بدأوا يتذمرون ويَشْكُون من ذلك، وما علموا أنهم هم السبب الأول في ذلك التمرد والانحراف كما قيل:

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال إياك إياك أن تبتل بالماء

والتقشير في تربية الأولاد يأخذ صورًا شتى، ومظاهر عديدة تتسبب في انحراف الأولاد وتمردهم، فمن ذلك ما يلي (1):

1_ تنشئة الأولاد على الجبن والخوف والهلع

والفرع: فمما يلاحظ على أسلوبنا في التربية تخويف الأولاد حين يبكون ليسكتوا؛ فنخوفهم بالغول، والبعبع، والحرامي، والعفريت، وصوت الريح، وغير ذلك. وأسوأ ما في هذا أن نخوفهم بالأستاذ، أو المدرسية، أو الطبيب؛ فينشأ الولد جبانًا رعديدًا يَفْرَقُ من ظله، ويخاف مما لا يخاف منه.

وأشد ما يغرس الخوف والجبن في نفس الطفل أن نجزع إذا وقع على الأرض، وسال الدم من وجهه، أو يده، أو ركبته، فبدلاً من أن تبتسم الأم، وتهدي من روع ولدها وتشعره بأن الأمر يسير تجدها تهلع وتفزع،

(1) انظر: أخلاقنا الاجتماعية، د: مصطفى السباعي، ص 155-161 وحقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة، للشيخ محمد بن عثيمين، ص 9-11 والمسؤولية في الإسلام، د: عبد الله قادري، ص 99-119 وأثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع، د: عبد الله قادري، ص 168-

وتَلَطِّم وجهها، وتضرب صدرها، وتطلب النجدة من أهل البيت، وتهول المصيبة، فيزداد الولد بكاءً، ويتعود الخوف من رؤية الدم، أو الشعور بالألم.

2_ تربيتهم على التهور، وسلاطة اللسان والتناول على الآخرين، وتسمية ذلك شجاعة⁽¹⁾ : وهذا خلل في التربية، وهو نقيض الأول، والحق إنما هو في التوسط.

3_ تربيتهم على الميوعة، والفوضى، وتعويدهم على الترف والنعيم والبذخ: فينشأ الولد مترفاً مُنعمًا، همُّه خاصة نفسه فحسب، فلا يهتم بالآخرين، ولا يسأل عن إخوانه المسلمين، لا يشاركهم أفراحهم، ولا يشاطرهم أتراحهم؛ فتربية الأولاد على هذا النحو مما يفسد الفطرة، ويقتل الاستقامة، ويقضي على المروءة والشجاعة.

4_ بسط اليد للأولاد، وإعطاؤهم كلَّ ما يريدون: فبعض الوالدين يعطي أولاده كل ما سألوه، ولا يمنعهم شيئاً أرادوه، فتجد يدَه مبسوطة لهم بالعطاء، وهم يعبثون بالأموال، ويصرفونها في اللهو والباطل، مما يجعلهم لا يابهنون بقيمة المال، ولا يحسنون تصرفه.

5_ إعطاؤهم ما يريدون إذا بكوا بحضرة الوالد، خصوصًا الصغار: فيحصل كثيرًا أن يطلب الصغار من آبائهم أو أمهاتهم طلبًا ما، فإذا رفض الوالدان ذلك لجأ الصغار إلى البكاء؛ حتى يحصل لهم مطلوبهم، عندها ينصاع الوالدان للأمر، وينفذان الطلب، إما شفقة على الولد، أو رغبة في إسكاته

¹ () انظر: وقفات مع الأسرة، صبري شاهين، ص 12 ورسائل إلى ابنتي، لمحمد الأبشيهي، ص 76

والتخلص منه، أو غير ذلك؛ فهذا من الخلل بمكان، فهو يسبب الميوعة والضعف للأولاد.

يقول الدكتور محمد الصباغ: = سمعت من مالك بن نبي × أن رجلاً جاء يسترشدته لتربية ابن له أو بنت ولد حديثاً، فسأله: كم عمرها؟ قال: شهر، قال: فاتك القطار، قال: وكنت أظن بادئ الأمر أنني مبالغ، ثم إنني عندما نظرتُ وجدت أن ما قُلْتُه الحقُّ، وذلك أن الولد يبكي، فتعطيه أمه الثدي، فينطع في نفسه أن الصراخ هو الوسيلة إلى الوصول إلى ما يريد، ويكبر على هذا، فإذا ضربه اليهود بكى في مجلس الأمن يظن أن البكاء يوصله حقه + (1).

6_ شراء السيارات لهم وهم صغار: فبعض

الوالدين يشتري لأولاده السيارة وهم صغار، إما لأن الابن ألحَّ عليه في ذلك، أو لأن الأب يريد التخلص من كثرة طلبات المنزل، ويريد إلقاءها على ولده، أو أن الابن ألحَّ على الأم، والأم ألحَّت على الأب، أو لغير ذلك من الاعتبارات.

فإذا تمكن الولد من السيارة فإنه في الغالب يبدأ في سلوك طريق الانحراف، فتراه يسهر بالليل، وتراه يكثر الخروج من المنزل، وتراه يرتبط بصحبة سيئة، وربما أذى عباد الله بكثرة التفحيط، وربما بدأ في الغياب عن المدرسة، وهكذا يتمرد على والديه، فيصعب قياده، ويعز إرشاده.

7_ الشدة والقسوة عليهم أكثر من اللازم:

إما بضربهم ضرباً مبرحاً إذا أخطأوا ولو للمرة

¹ () انظر: نظرات في الأسرة المسلمة، ص 146 _ 147

الأولى_ أو بكثرة تقريرهم وتأنيبهم عند كل صغيرة وكبيرة، أو غير ذلك من ألوان الشدة والقسوة⁽¹⁾ .

8_ شدة التقدير عليهم: فبعض الآباء يُقتر على أولاده أكثر من اللازم، مما يجعلهم يشعرون بالنقص، ويحسون بالحاجة، وربما قادهم ذلك إلى البحث عن المال بطريقة أو بأخرى، إما بالسرقة، أو بسؤال الناس، أو بالارتقاء في أحضان رفقة السوء وأهل الإجرام.

9_ حرمانهم من العطف والشفقة والحنان: ما يجعلهم يبحثون عن ذلك خارج المنزل؛ لعلهم يجدون من يشعرهم بذلك.

10_ الاهتمام بالمظاهر فحسب: فكثير من الناس يرى أن حسن التربية يقتصر على الطعام الطيب، والشراب الهنيء، والكسوة الفخمة، والدراسة المتفوقة، والظهور أمام الناس بالمظهر الحسن، ولا يدخل عندهم تنشئة الولد على التدين الصادق، والخلق الكريم⁽²⁾ .

11_ المبالغة في إحسان الظن بالأولاد: فبعض الآباء يبالغ في إحسان الظن بأولاده، فتجده لا يسأل عنهم، ولا يتفقد أحوالهم، ولا يعرف شيئاً عن أصحابهم؛ وذلك لفرط ثقته بهم، فتراه لا يقبل عدلاً ولا صرفاً في أولاده، فإذا وقع أولاده أو أحد منهم في بلية، أو انحرف عن الجادة السوية، ثم نُبِّه الأب عن ذلك بدأ يدافع عنهم، ويلتمس المعاذير لهم، ويتهم من نهه أو نصحه بالتهويل، والتعجل، والتدخل فيما لا يعنيه.

¹ () انظر: رسائل إلى ابنتي للأبشيبي، ص 76 - 77 وأثر الأسرة في صلاح الأبناء وانحرافهم، لإبراهيم المشيقح، ص 22 - 23

² () انظر: نظرات في الأسرة المسلمة، ص 150

12_ المبالغة في إساءة الظن بهم: وهذا

نقيض السابق، فهناك من يسيء الظن بأولاده، ويبالغ في ذلك مبالغة تخرجه عن طوره، فتجده يتهم نيّاتهم، ولا يثق بهم البتة، ويشعرهم بأنه خلفهم في كل صغيرة وكبيرة، دون أن يتغاضى عن شيء من هفواتهم وزلاتهم.

13_ التفريق بينهم: فتجد من الناس من يفرق

بين أولاده، ولا يعدل بينهم بالسوية، سواء كان ذلك مادياً أو معنوياً.

فهناك من يُفَرِّق بين أولاده في العطايا والهدايا والهبات، وهناك من يفرق بينهم بالملاطفة والمزاح، وغير ذلك، مما يوغر صدور بعضهم على بعض، ويتسبب في شيوع البغضاء بينهم، ويبعث على نفورهم وتنافرهم.

ومن مظاهر التفريق بين الأولاد ما تجده عند بعض الآباء، حيث يخص أحد أبنائه الكبار بمبلغ من المال، ويشترى له قطعة أرض، وربما بناها له دون حاجة إلى ذلك، فإذا قيل له: وما نصيب الصغار والبنات؟ قال: الصغار نعطيهم إذا كبروا، والبنات يتزوجن ويكفيهن الأزواج المؤونة!.

بل ربما أعطى بعض الأولاد، ومنع بعضهم الآخر، أو زوّج بعضهم دون الآخر مع أن السن متقاربة، والحاجة واحدة، ولكنه يفرق بينهم لهوى في نفسه، أو لأن هذا من تلك الزوجة الأثيرة عنده، وذاك من الزوجة التي ليس لها وُدٌ في قلبه.

ولا شك أن هذا التصرف باطل ينافي العدل بين الأولاد، فمن الذي يضمن لهذا الرجل أن يعيش حتى

يُكبر أبنائه الصغار؟ ومن الذي يضمن له أنهم سيعيشون حتى يكبروا؟ ومن الذي يضمن له أنه سيستمر على غناه وبساره حتى يكبروا.

ثم إن البنات لهن حقٌ ولو تزوجن، فالذي يليق بالوالد إذا أعطى أحداً من أولاده شيئاً أن يعطي الآخرين مثله أو أن يدخره لهم، أو أن يكتب على هذا المعطى أنه أخذ كذا وكذا، فإما أن يكون ديناً عليه، أو يُخسَم من حقه من الميراث بعد وفاة الوالد، وهكذا؛ فذلك لا ينافي العدل.

كما لا ينافي العدل أيضاً أن يعطي بعض الأولاد ما يحتاجه من علاج، أو نفقة دراسية، أو أن يشتري له سيارة إذا كان محتاجاً لها، وهكذا يعطي كل من احتاج إلى شيء من النفقة أو نحوها.

ولا يلزمه إذا أعطى أحداً من أولاده على نحو ما مضى أن يعطي الآخرين في الوقت نفسه.

أما العطية والهبة التي تكون لغير حاجة؛ حيث يخص بها بعضهم دون بعض فذلك مما ينافي العدل.

14_ التسخط بالبنات: وهذا قبل أن يكون خلافاً

في التربية هو خلل في العقيدة، فبعض الناس إذا رزقه الله بنتاً تسخط بها، وضاق ذرعاً بمقدمها، ولا شك أن هذا الصنيع من أعمال الجاهلية وأخلاق أهلها، المذنبين ذمهم الله عز وجل في قوله: [وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (58) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ] (النحل: 58، 59) (1)

¹ () انظر: تحفة المودود، ص 16.

وما أشبه الليلة بالبارحة، فلو زرت أحد مستشفيات الولادة في بلاد المسلمين، وقلبت طرفك في وجوه الذين ولد لهم بنات، وراقبت كلامهم، وسببت أحوالهم عند إخبارهم بذلك لوجدت توافقاً عجيباً، وتطابقاً غريباً بين حال كثير من هؤلاء، وحال الجاهليين الذي قصَّ الله علينا أمرهم⁽¹⁾.

وفي بعض المستشفيات قد يكتشفون ما برحم المرأة قبل الولادة عبر الأشعة الصوتية، فإذا كان ما في الرحم ذكرًا بشرُوا، وإن كان أنثى أقصروا، بل ربما عزوا عيادًا بالله.

فتسخط البنات أمر خطير وفيه عدة محاذير، منها:

أ_ أنه اعتراض على قدر الله عز وجل.
ب_ أن فيه ردًا لهبة الله بدلاً من شكرها، وكفى بذلك تعرضًا لمقت الله.

ج_ أنه تشبه بأخلاق أهل الجاهلية.
د_ أنه دليل على السّفه والجهل والخلل في العقل.
هـ_ أنه تحميل للمرأة ما لا تطيق؛ فبعضهم بغضب على المرأة بمجرد إتيانها بالأنثى، وما علم أنه هو السبب لو كان يعقل؛ إذ يعامل المرأة معاملة من لو كانت ولادة الذكور باختيارها؛ فلماذا لا يحنق على نفسه؛ إذ يلحق امرأته بأنثى⁽²⁾ وأن فيه إهانةً للمرأة وخطأً من قدرها.

15_ ومن صور التقصير في تربية الأولاد تسميتهم بأسماء سيئة: فهذا خلل في التربية

¹ () انظر: صون المكرمات برعاية البنات، للشيخ جاسم الفهيد الدوسري ص 16.

² () انظر: تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور 7 / 184.

وجناية على الأولاد، قال الشيخ العلامة بكر أبو زيد حفظه الله: =إني تأملت عامة الذنوب والمعاصي، فوجدت الذنوب والمعاصي إذا تاب العبد منها تجذمتها التوبة، وتقطع سيئ أثرها لَتَوَّهًا؛ فكما أن الإسلام يَجُبُّ ما قبله وأكبره الشرك فإن التوبة تَجُبُّ ما قبلها متى اكتملت شروطها المعترضة شرعاً، وهي معلومة أو بحكم المعلومة.

لكن هناك معصية تتسلسل في الأصلاب، وعارها يلحق الأحفاد من الأجداد، ويتندر بها الرجال على الرجال، والولدان على الولدان، والنسوة على النسوان، فالتوبة منها تحتاج إلى مشوار طويل العثار؛ لأنها مسجلة في وثائق المعاش من حين استهلال المولود صارخاً في هذه الحياة الدنيا إلى ما شاء الله من حياته، في شهادة الميلاد، وحفيظة النفوس، وبطاقة الأحوال، والشهادات الدراسية، وخصة القيادة، والوثائق الشرعية

إنها =تسمية المولود+ التي تَعْتَرِّ فيها =الأب+ فلم يهتدِ لاسم يقره الشرع المطهر، ويستوعبه لسان العرب، وتستلهمه الفطرة السليمة.

وهذه واحدة من إفرزات التموجات الفكرية التي ذهبت ببعض الآباء كل مذهب، كل بقدر ما أثربه من ثقافة وافدة، وكان من أسوئها ما نفت به بعض المستغربين منها من عشق كَلِفٍ، وظماً شديداً لأسماء الكافرين، والتقاط كل اسمٍ رخو متخاذل وعزوف سادرٍ عن =زينة المواليد+ الأسماء الشرعية + (1).

فمن الأخطاء التي تقع في تسمية المولود ما يلي:

¹ () تسمية المولود، للشيخ بكر أبو زيد ص 9_10.

أ_ تسميتهم بالأسماء الممنوعة المحرمة:
 كتسميتهم بأسماء الله المختصة به; مثل الأحد، الرحمن، الله، الخالق، ومن ذلك الأسماء المعبدة لغير الله تعالى مثل عبد النبي، عبد الحسين، عبد علي، وكذلك تسميتهم بالأسماء الأجنبية الخاصة بأعدائنا من اليهود والنصارى وغيرهم; مثل: جورج، وديفيد، ومايكل، وجوزيف، وديانا، وجاكلين، لأن هذا يجر ولو على المدى البعيد إلى موالاتهم.

ب_ تسميتهم بالأسماء التي ينبغي تجنبها والتي قد تكون محرمة: كتسميتهم بأسماء الجابرة والطواغيت; أمثال: فرعون، وهامان، وقارون، ومن كان في قافلته وعلي شاكلتهم مثل ماركس، ولينين، وستالين، وفرويد; لأن التسمي بهم يئم عن الرضا بأفعالهم، والمحبة لمناهجهم.

ج_ تسميتهم بالأسماء التي يُظن أنها من أسماء الله تعالى: فهذه من الأسماء المكروهة شرعاً كالتسمية ب: عبد المقصود، وعبد الستار، وعبد الموجود.

د_ تسميتهم بالأسماء المكروهة أدباً وذوقاً: وهي التي تحمل في ألفاظها تشاؤماً، أو معاني تكرهها النفوس، كحرب، وحمار، وكلب، ومرة.

هـ_ تسمية الأولاد بالأسماء التي تسبب الضحك وتثير السخرية: مثل: شحات، وفلفل، وخيشة، وجحش، وبغل، وفجل.

و_ التسمية بالأسماء التي توحى بالتميع والغرام وخذش الحياء: مثل: هيام، ومعناه: الجنون في العشق، وكذلك وصال، وفاتن، وفتنة، وشادية.

ز_ التسمية بأسماء الملائكة: خاصة للنساء; إذ يخشى أن يكون تشبهاً بالمشركين.

ح_ تسميتهم بالأسماء التي تتضمن تزكية دينية، مثل: برة⁽¹⁾.

16_ مكث الوالد طويلاً خارج المنزل: فبعض الآباء يهمل منزله، ويمكث طويلاً خارجه، مما يعرض الأولاد للفتن، والمصائب، والضياع والانحراف، ومن مظاهر

ذلك ما يلي:

أ_ الاشتغال عن الأولاد بالبيع والشراء والتجارة، ولو عوتب الأب على ذلك لقال: إنما أعمل لأجلهم.

ب_ السفر الطويل خارج البلد للعمل أو النزهة.

ج_ العكوف الساعات الطوال مع الأصحاب في الاستراحات والمنتزهات.

د_ إهمال البيت الأول إذا بنى الأب بزوجة جديدة، وسكن معها بمسكن جديد; فكم من الناس من يهمل بيته الأول إذا بنى بزوجة جديدة، فيضيع الأولاد، ويتشردون، بسبب انشغال والدهم، وبعده عنهم.

هـ_ كثرة خروج الأم من المنزل إما للأسواق أو للزيارات.

هذه بعض مظاهر المكث خارج المنزل، فكم في هذا الصنيع من إهمال للأولاد، وكم فيه من تعريض لهم للفتنة، وكم فيه من حرمان لهم من الشفقة والرعاية والعناية، وما أحسن ما قيل:

ليس اليتيم من انتهى أبواه هم الحياة وخلفاه ذليلاً

¹ () انظر: آداب استقبال المولود في الإسلام، ليوسف العريفي، ص 40_42 وحق الآباء على الأبناء وحق الأبناء على الآباء، د: طه العيفي،

إن اليتيم هو الذي تلقى له أمًّا تخلَّت أو أباً مشغولاً

17_ الدعاء على الأولاد: فكم من الوالدين_ وخصوصًا الأمهات_ من يدعو على أولاده، فتجد الأم_ لأدنى سبب_ تدعو على ولدها البريء بالحمى، أو أن يقتل بالرصاص، أو أن تدهسه سيارة، أو أن يصاب بالعمى أو الصمم، وتجد من الآباء من يدعو على أبنائه بمجرد أن يرى منهم عقوقاً أو تمرداً ربما كان هو السبب فيه.

وما علم الوالدان أن هذا الدعاء ربما وافق ساعة إجابة، فتقع الدعوة موقعها، فيندمان ولات ساعة مندم. ولهذا قال_ عليه الصلاة والسلام_ : **لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يُسأل فيها عطاءً فيستجيب لكم** + (1).

18_ التربية على سفاسف الأمور، وسيئ العبارات، ومردول الأخلاق: كتشجيع الأندية، وتقليد الكفار، وتعويد البنات على لبس القصير من الثياب، ومن ذلك تعويدهم على إطلاق العبارات النابية، والكلمات المقذعة، وذلك من خلال كثرة ترديد الوالدين لتلك العبارات، أو من خلال نبز الأولاد بالألقاب عند مناداتهم، مما يجعل الأولاد يألفون هذه العبارات، ولا يراعون آداب الكلام.

19_ فعل المنكرات أمام الأولاد، أو إقرارهم عليها: كشرب الدخان، أو حلق اللحية، أو سماع الأغاني، أو مشاهدة الأفلام الساقطة، أو متابعة المسلسلات التليفزيونية، وكتبرج المرأة أمام بناتها،

¹ () رواه مسلم، 4/2304

وكثرة خروجها من المنزل لغير حاجة، إلى غير ذلك، فهذا كله يجعل من الوالدين قدوةً سيئةً للأولاد. وكذلك قد يرى الوالد على أولاده بعض المنكرات، فلا تراه يحرك ساكناً تجاههم؛ مما يجعلهم يستمرؤون المنكر.

20_ جلب المنكرات للمنزل: سواء كانت من المجالات الخليعة، أو من أجهزة الفساد المدمرة، أو الكتب التي تتحدث عن الجنس صراحة، أو غيرها من المنكرات.

فهذه وسائل تخريب، ومعاول هدم، وأدوات فساد وانحلال، ومدارس لهدم العقيدة وتميع الأخلاق، والتدريب العملي على ارتكاب الفواحش⁽¹⁾؛ فهذه الوسائل لها قدرة كبيرة على الإقناع، ولها تأثير بالغ في تنحية دور الأسرة في التربية.

21_ كثرة المشكلات بين الوالدين: فهذا العمل له دوره السيء على الأولاد، فما موقف الولد الذي يرى والده وهو يضرب والدته؟ ويغلظ عليها بالقول؟ وما موقفه إذا رأى أمه تسيئ معاملة والده؟ لا شك أن نوازع الشر ستتحرك في نفسه، ومراجله الحقد ستغلي في جوفه، فتزول الرحمة من قلبه، وينزع إلى الشرِّ والعدوانية.

¹ () انظر: الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتلفزيون، لمروان كجك، ص 191 وأخطار تهدد البيوت، للشيخ محمد المنجد، ص 21_28 وبصمات على ولدي، لطيبة يحيى، ص 22_25 وحصوننا مهددة من داخلها، د: محمد محمد حسين، ص 45_47 والإسلام والمشكلة الجنسية، د: صطفى عبد الواحد، والتلفزيون بين المنافع والأضرار، عوض منصور، ص 15_36 والصحافة والأقلام المسمومة، لأنور الجندي، ص 67_87 وتربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، د: محمد الزعبلوي، ص 422 وسموم على الهواء، لفريد التوني، ص 15_40

22_ التناقض: كأن يأمر الوالد أولاده بالصدق وهو يكذب، ويأمرهم بالوفاء بالوعد وهو يخلف، ويأمرهم بالبر والصلة وهو عاق قاطع، أو ينهاهم عن شرب الدخان وهو يشرب، وهكذا

وليس معنى ذلك أن يترك الوالد نصح أولاده إذا كان مقصراً أو مُقَرَّطاً في بعض الأمور، بل ينبغي أن ينصح لهم، ولو لم يكن عاملاً بما يقول، وإنما المقصود بيان أن التناقض بين القول والفعل يفقد النصائح أثرها.

23_ العهد للخادمت والمربيات بتربية الأولاد: فهذا الأمر جد خطير، خصوصاً إذا كانت الخادمة أو المربية كافرة؛ فذلك مدعاة لانحراف الأولاد، وفساد عقائدهم وأخلاقهم.

24_ ترك البنات يذهبن للسوق بلا محرم: ولا شك أن هذا تفريط عظيم وإخلال بالأمانة، فمن الناس من يذهب بناته إلى السوق الذي يبيع فيه الرجال، فيمكن فيه الساعات الطوال، يتجولن بين الباعة بدون محرم؛ مما يعرضهن للفتنة، ويجعلن يقتنن غيرهن.

ولو قيل لبعض هؤلاء: لِمَ لا تنزل معهم إلى السوق؟ لقال: أستحي أن يراني أحد معهن! سبحان الله، أستحي من الناس ولا تستحي من الله؟! أما تخاف العقوبة؟! أما تخشى الفتنة؟! لو كان عندك غنم ما تركتها بلا راع يرعاها، أعرضك أرخص عندك من غنمك؟! أما تخشى عليه من الذئاب الضارية؟! ومن رعى غنماً في أرضٍ ونام عنها تولى رعيها الأسدُ

وقد يقال لهذا: إذا كنت تستحي من النزول مع محارمك فاذهب بهن إلى الأسواق الخاصة بالنساء، أو

أذهب بهن إلى بلدة قريبة من بلدتك، وانزل معهن؛ حيث لا يعرفك أحد هناك.

25_ إهمال الهاتف وترك مراقبته في المنزل: فبعض الآباء هداه الله لا يلقي للهاتف بالاً، ولا يراقبه البتة، بل ربما أعطى كل واحدٍ من أبنائه وبناته هاتفاً خاصاً في غرفته، أو يعطيهم هاتفاً جوالاً ولو كانوا لا يدركون مخاطره، ولا يستفيدون منه على الوجه الصحيح.

وما علم أن الهاتف إذا أسيء استخدامه أصبح معول هدم وخراب؛ فكم جر من بلايا ورزايا، وكم قاد إلى الشرور والمحن، وكم انتهك بسببه من عرض، وكم حُرِبَ لأجله من بيت.

26_ الغفلة عما يقرؤه الأولاد: فالقراءة ولا شك تصوغ الفكر، وتؤثر في القارئ سلبيًا أو إيجابًا. وبعض الآباء لا يلقي لها بالاً، فلا يسأل عن قراءة أولاده، ولا يوجههم إلى القراءة النافعة، ولا يحذرهم من القراءة الضارة.

27_ احتقار الأولاد وقلة تشجيعهم: ومن مظاهر ذلك:

أ_ إسكاتهم إذا تكلموا، والسخرية بهم وبحديثهم؛ مما يجعل الولد عديم الثقة بنفسه، قليل الجرأة في الكلام والتعبير عن رأيه.

ب_ التشنيع عليهم إذا أخطأوا ولمزهم إذا أخفقوا في موقف، أو تعثروا في مناسبة، مما يولد لديهم الخجل والهزيمة، ويشعر الوالد بالعجب والكبرياء، فيتكون

بذلك الحاجز النفسي بين الطرفين؛ فلا يمكن بعده للوالد أن يؤثر في أولاده⁽¹⁾.
 ج_ ازدراؤهم إذا استقاموا: وهذا أشد الاحتقار وأعظم صورته، فتجد من الآباء من يحتقر أولاده إذا رأى منهم تقىً وصلاً واستقامةً وهدايةً، مما يجعلهم يضلون، وعلى أعقابهم ينكصون، فيصبحون بعد ذلك عالة عليه، وسبباً لجر البلايا إليه.

28_ قلة العناية بتربيتهم على تحمل المسؤولية: فبعض الآباء لا يربي أولاده على تحمل المسؤولية؛ إما لإراحتهم، أو لعدم ثقته بهم، أو لعدم مبالته في تربيتهم، فتجد من الآباء على سبيل المثال من لديه محلات تجارية كثيرة، وتجدده يستقدم العمال من خارج بلاده، وربما كانوا من الكفار، وربما استعان بمن يعمل عنده من أهل بلده، وأولاده في المنزل لا عمل لهم، بل ربما عملوا عند غيره.
 وقد يكون الأبناء مقصرين أو عاقين، ولكن ما دور الأب تجاههم؟

أما إذا كان الأولاد يشتغلون بطلب العلم، أو الدعوة إلى الله، أو نحو ذلك من معالي الأمور، وأراد الوالد أن يفرغهم لما توجهوا إليه من تلك الأعمال العظيمة - فلا بأس بذلك، بل إن الوالد يُحمد على صنيعه هذا.
 وإنما اللوم يقع لمن تركهم عالة على غيرهم، وهو قادر على استصلاحهم، والأخذ بأيديهم إلى ما ينفعهم.

29_ عدم إعطائهم فرصة للتصحيح والتغيير للأفضل: فبمجرد أدنى خطأ أو زلة تجد بعض الآباء يزرى بولده، ولا يكاد ينسى هذا الخطأ له، فإذا سرق

¹ () انظر: المراهقون، د: عبد العزيز النغمشي، ص 60

الولد ناداه باسم السارق، وإذا كذب ناداه باسم الكذاب، وكان هذه الأخطاء ضربة لازب لا تزول، أو وصمة عار لا تنمحي، ومن هنا ينشأ الولد وفي نفسه أنه سارق أو كذاب، فلا يحاول التخلص من عيبه، ولا يجد من يعينه على ذلك.

30_ سوء الفهم لنفسية الأولاد وطبائعهم:
فكثير من الآباء لا يفهم نفسية أولاده، ولا يعرف طبائعهم وأمزجتهم؛ فالأولاد تختلف أمزجتهم وطبائعهم؛ فمنهم من يغضب بسرعة، ومنهم من يتسم بالبرود، ومنهم من هو معتدل المزاج، فمعاملتهم بنمط واحد بالرغم من تباين نفسياتهم_ قد يتسبب في انحرافهم وميلهم.

31_ قلة المراعاة لتقدير مراحل العمر التي يمر بها الولد: فتجد من الوالدين من يعامل الولد على أنه طفل صغير، بالرغم من أنه قد كبر، فهذه المعاملة تؤثر في نفس الولد وتشعره بالنقص، فلكل مرحلة من مراحل العمر معاملتها الخاصة التي يجدر بالوالد مراعاتها، والأخذ بها.

32_ الشماتة بالمبتلين: فبعض الآباء إذا رأى مبتلياً بدأ يشمت به، ويتهم أهله بالتقشير في تربيته، بدلاً من أن يسأل الله السلامة لنفسه، والعافية لهذا المبتلي؛ فكم من الناس من انحرف أبناءه وضلوا؛ بسبب شماتته، وذرابة لسانه، وجرأته على الناس.

33_ قلة الاهتمام باختيار مدارس الأولاد: فكم من الآباء من لا يهتم بذلك، فتجده لا يسأل عن المدرسة التي سيدرس فيها ابنه، ولا عن المدرسين

وسلوكلهم وأخلاقهم، ولا عن المناهج الدراسية، ولا عن نوعية الطلاب الذين يدرسون في المدرسة مع ابنه.

34_ إلحاقهم بالمدارس الأجنبية: التي تفسد عقائدهم وأخلاقهم، خصوصًا إذا كانوا صغارًا، أو قليلي الحصانة من العلم والتقوى. وقد لا يقتصر فسادهم على أنفسهم، بل يصبحون معاول هدم لأمتهم.

35_ قلة التعاون مع مدارس الأولاد أو انعدامه بالكلية: فكثير من الآباء لا يتعاون مع المدارس التي يدرس فيها أولاده، بل ربما لا يعلم أين يدرسون.

36_ الدفاع عن الولد بحضرته_ خصوصًا في المدرسة: فقد يحدث أن يقوم أحد المدرسين أو المسؤولين في المدرسة بتأنيب طالب من الطلاب أو عقابه، ثم يأتي والده وقد غضب غضبًا مُضربًا، وبدلًا من الحوار الهادئ مع صاحب الشأن، وبدلًا من أن يكون ذلك بعيدًا عن ناظري الولد_ تجد ذلك الوالد يطلق العبارات النابية على الأستاذ أو المسؤول، ويصب جام غضبه عليه، وينزله في الحضيض بحضور ولده، ومن هنا تقل قيمة المدرسة في نفس الولد، ويشعر بالزهو والته والإعجاب بالنفس، فلا يكاد بعد ذلك يصيح السمع للمعلمين والمربين.

37_ ترك المبادرة في تزويج الأبناء مع الحاجة والمقدرة: فمن الآباء من لا يحفل بهذا الأمر؛ فتراه لا يبادر إلى تزويج أبنائه مع حاجاتهم إلى الزواج، ومع غنى الأب، واستطاعته أن يزوجهم.

وهذا خطأ فادح؛ حيث يترتب عليه مفسد عظيمة تعود على الفرد والأمة؛ فبسببه تتعطل الشواب عن الزواج إلى سن متأخرة، وبسببه تضيع أعراض، وأخلاق. وقد يصاب ذلك الابن الذي لم يُبادر في تزويجه بمرض عضال، إما بسبب حادث سيارة أو غير ذلك، فلا يتمكن معه من الزواج، ولا يقبل أحد أن يزوجه بسببه؛ فمن يقوم على رعايته، خصوصاً إذا كان الوالدان كبيرين وليس عندهما من يقوم به، بل قد لا يجد من يلتفت إليه بعد فراق والديه الدنيا، كما أن المنية قد تفاجئ هذا الذي آخر زواجه، فيتوفى دون أن تكون له ذرية تدعو له، وتترحم عليه، وتحيي ذكره. وإذا عاش ذلك الذي آخر زواجه ربما عاش ممزقاً مشتتاً متعرضاً للفتن.

والذي يؤخر زواجه يُحرم من سكون النفس، وطمأنينة القلب، وفضائل الزواج المتعددة. ثم إن الزواج مشروع في دين الإسلام، وأقل درجات المشروعية الإباحة، بل إن المتأمل في أدلة الشرع يجدها لا تدل على الإباحة فحسب، بل تدل على الاستحباب، أو الوجوب⁽¹⁾.

وقد ذهب جمع من أهل العلم إلى أن النكاح فرض عين يأثم تاركه مع القدرة عليه، قال بذلك أهل الظاهر⁽²⁾.

¹ () انظر: إلى بدائع الصنائع للكاساني 2/228 وبداية المجتهد لابن رشد 2/3.

² () انظر: إلى بدائع الصنائع للكاساني 2/228 وبداية المجتهد لابن رشد 2/3.

والذي نص عليه ابن حزم أنه واجب على الرجال دون النساء⁽³⁾.

ونقل الكاساني عن بعض الحنفية أنه فرض كفاية كالجهاد، وصلاة الجنابة، ونقل عن آخرين أنه واجب. والقائلون بالوجوب من الحنفية منهم من عدّه واجباً كفايياً كرد السلام، ومنهم من جعله واجباً عينيّاً عملاً لا اعتقاداً على طريق التعيين كصدقة الفطر والأضحية⁽²⁾.

والقول بوجوبه رواية عن أحمد، وهو قول بعض الحنابلة⁽³⁾.

وذهب بعض شافعية العراق إلى القول بأنه فرض كفاية يقاتل أهل البلد الذي يمتنعون منه⁽⁴⁾.

وقد استدل القائلون بالفرضية، أو الوجوب العيني، أو الكفائي بالنصوص الأمرة بالنكاح كقوله تعالى: **[فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ]** (النساء: 3).

وقوله: **[وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ]** (النور: 32).

وقوله: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء"⁽⁵⁾.

فالأمر عندهم للوجوب، ولم يأت صارف يصرفه عن الوجوب، وقد تأكد الوجوب من إخبار الرسول "أن

³ () انظر: المحلى لابن حزم 9/440_444.

² () انظر: بدائع الصنائع 2/228.

³ () انظر: المغني لابن قدامة 9/340_341.

⁴ () انظر: روضة الطالبين للنووي 7/18 ومغني المحتاج للشريني 3/135.

⁵ () رواه البخاري (5066).

النكاح من سنته، ومن إنكاره "على من ترك النكاح، وعزم على التبطل" (1).

وذهب جمهور أهل العلم إلى استحباب النكاح للتائق إليه الذي لا يخشى على نفسه الوقوع في الزنا؛ فإن كان توقانه شديدًا؛ بحيث يخشى على نفسه الوقوع في الزنا وجب عليه الزواج متى قدر على تكاليفه (2). هذه نبذة يسيرة من أقوال أهل العلم في الزواج وأهميته ومع ذلك تجد بعض الآباء لا يلقي بالاً لهذا الأمر؛ مما ينذر سوء المنقلب، على الأبناء بخاصة، وعلى الأمة بعامة.

فحقيق على الآباء أن يعوا هذا الأمر، وأن يسعوا في تزويج أبنائهم عند حاجة الأبناء، ويسار الآباء.

38 - إجبار الابن على نكاح من لا يريد: كأن

يقول الوالد لابنه تزوج بنت عمك، أو بنت خالك، أو بنت الوجيه الفلاني، أو التاجر الفلاني، أو نحو ذلك. وإذا لم يتزوج غضب عليه الوالد أشد الغضب، بل ربما هجره.

وهذا الصنيع لا يجوز؛ فليس للوالد إجبار ابنه على الزواج من أسرة معينة، أو فتاة معينة؛ فقد يرى الابن ما لا يرى والده؛ فقد لا يجد ميلاً لمن أشار والده بها، وقد يكون طامحًا لأسرة أخرى؛ وهكذا

1 () انظر: أحكام الزواج د. عمر الأشقر ص 28.

2 () انظر: حاشية ابن عابدين 7/3، وبدائع الصنائع 228،/2 وكفاية الأختار للحسيني 5/67 وروضة الطالبين 7/18 وصحيح مسلم بشرح النووي 9/522 - 523 وشرح الزركشي على مختصر الخرقى للزركشي تحقيق الشيخ د. عبد الله بن جبرين 5/5 - 8 ومغني المحتاج 3/125 ومختصر المزني 3/255 والكافي في فقه أهل المدينة لابن عبد البر 2/519 وجواهر الإكليل للآمدي 1/474 وأحكام الزواج ص 32

نعم للوالدين أن يشيرا عليه، ولهما أن يحاولا إقناعه، وفتح المجالات أمامه، وإبداء المسوغات له. ولكن ليس لهما إجباره، فقد يضرانه من حيث أراد نفعه.

رام نفعاً فضر من غير قصد ومن البر ما يكون عقوقا قال شيخ الإسلام ابن تيمية X: = ليس لأحد من الأبوين أن يُلزم الولد بنكاح من لا يريد، وأنه إذا امتنع لا يكون عاقاً.

وإذا لم يكن لأحد أن يلزمه بأكل ما ينفر منه مع قدرته على أكل ما تشتهي نفسه_ كان النكاح كذلك، وأولى؛ فإن أكل المكروه مرارة ساعة، وعشيرة المكروه من الزوجين على طولٍ يؤذي صاحبه، ولا يمكن فراقه + (1)

39 تأخير زواج البنات بغير مسوغ شرعي:

فمن الآباء من يؤخر زواج ابنته بلا مسوغ شرعي؛ فتراها يرد الخاطب الكفو، ويؤخر زواج ابنته إما لكونها وحيده فلا يرغب في فراقها، أو لرغبتها في أن تخدمه، أو لأنها موظفة ويرغب في مالها، أو لأنه ينتظر خاطباً غنياً يتقدم لموليته، أو لغير ذلك من الأسباب.

وهذا حرمان للفتاة من حقها في الزواج؛ فكيف تكون حالها وهي ترى أترابها من بنات عمها، أو بنات خالها، أو صديقاتها وهن يحملن الأطفال، ويسعدن بالأزواج؟ إنها تحترق كمداً وغمماً، وحسرة؛ فتبعة ذلك التأخير يتحملها الأب؛ لأن الأصل أن يبادر إلى تزويجها متى تقدم لها الخاطب الصالح.

¹ () مجموع الفتاوى لابن تيمية 32/30.

أمّا تأخير الزواج، ورد الخاطب بلا مسوغٍ فشذوذ،
وخروج عن الأصل الشرعي والعرفي، وهو تمكين
الفتاة من الزواج.

فإذا ارتضت المرأة رجلاً، وكان كفوّاً فليس لوليها
منعها من التزوج به.

فيا أيها الأب الناصح لابنته، خَفِ الله، وارحم موليتك،
وتذكر بأنك لست مخلدًا في هذه الدنيا، وتذكر بأن
الأنثى لا بدّ لها من رجل يحوطها برعايته أباً كان، أو أخاً،
أو عمّاً، أو خالاً.

فإذا اتَّقَلت عن هذه الدنيا، ولم يَدْخُل ابنتك عَشْرَ
الزوجية، وأنت السبب فمعنى ذلك أنها ستكون عالّةً
على إخوانها، أو أحدٍ قاربها.

وقد تبلى بمن لا يخاف الله فيها، سواء كان ذلك زوج
أمّها إذا تزوجت أمها بعد فراقك، أو زوجة أحد إخوانها،
أو غير أولئك، فتتحول حياتها إلى جحيم لا يطاق⁽¹⁾.

40_ تزويج البنات بغير الأكفاء: فمن الآباء من لا
يقصّر في المبادرة إلى تزوج ابنته، ولكنه يقصر في
اختيار الزوج المناسب، فتراه لا يتحرى الكفو الذي
يُرضى دينه وخلقه، إما لقلّة اهتمامه بأمر ابنته، أو
لرغبته في التخلص من تبعثها وبقائها بلا زوج، وإما
لعجلته وخرقه، وإما لطمعه في المال إذا تقدم إليه
غني، أو لرغبته في الواجهة والمنصب والسمعة إذا
تقدم له من هو كذلك، أو يزوجها للقريب الذي يستحي
من رد طلبه.

أما الدين القويم، والخلق الكريم فلا يخطر بباله، ولا
يدور في خياله.

¹() انظر: أخطاء في مفهوم الزواج للكاتب ص 10_12

ولهذا قد تبتلى بتارك للصلاة، أو مدمن للمخدرات، أو شرس الأخلاق، جافي الطبع. ولا حرج أن يسأل الإنسان عن المنصب، والحسب، والنسب، ونحو ذلك من الاعتبارات¹ لكن الحرج أن تكون هي المحكمة في المفاضلة، والترجيح دون اعتبار للدين والخلق، وهذا من الخلل والتفريط⁽¹⁾.

41_ إرغام البنت على الزواج بمن لا تريده:
فمن الآباء من إذا خطبت إليه ابنته، واقتنع بالخاطب^{أياً} كانت دوافع الاقتناع^{أعطى الموافقة التامة دون أن تعلم البنت بشيء}; فإذا قرَّب موعد الزفاف همس الولي في أذنها; كي تهين نفسها لزوجها. وهذا من الخلل; فقد لا ترضى البنت بالزوج; فإذا أجبرت على الزواج منه كانت حياتهما ضرباً من النكد. ولهذا جاء الشرع الحكيم بمنع الولي من إكراه موليته على الزواج; لأن ذلك ليس من حقه، جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة ÷ أن النبي "قال: **لا تُنكح الأيِّم حتى تستأمر، ولا تُنكح البكر حتى تستأذن** +.

قالوا: يا رسول الله! وكيف إذن؟ قال: = **أن تسكت** +⁽²⁾.

وعلى هذا فلا يجوز تزويج المولية بغير إذنها، ولا يعني اشتراط إذنها أن الولي غير لازم في نكاحها; فالصواب من القول أن تتفق إرادتها وإرادة وليها في التزويج.

¹ () انظر: المرجع السابق ص 16_ 19

² () البخاري (5136).

نعم لوليها أن يحاول إقناعها بالزواج إذا كانت ترفضه، وله إقناعها بالزواج الصالح إذا كان ترده، ولكن ليس له إجبارها.

ولا يعني ذلك أن تتعنت المرأة بحجة أنها لا تجبر⁽¹⁾.

42_ دخول الوالد في كل صغيرة وكبيرة من أمر ولده إذا تزوج: فمن الوالدين أباً كان أو أمّاً من يفرض وصاية عامة، ويضع سياجاً محكماً على أولاده بنين وبناتٍ حتى بعد أن يتزوجوا؛ فتراه يتدخل في شؤونهم الخاصة، ويأتي بيوتهم على غرّة، ويفرض آراءه التي قد تكون مجانية للصواب.

وهذا من الخلل في التعامل مع الأولاد؛ فاللائق بالوالد أن يترك أولاده يعيشون حياتهم الخاصة بهم، وألا يكون حجر عثرة في طريق سعادتهم.

ولا يعني ذلك أن يترك مناصحتهم، ودلالتهم على ما فيه صلاحهم وفلاحهم، وإنما المقصود من ذلك لزوم الاعتدال في شتى الأحوال.

¹ () انظر في تفصيل ذلك إلى أخطاء في مفهوم الزواج ص 26 _ 29.

تساؤلات

هذه بعض مظاهر التقشير في تربية الأولاد، فماذا نؤمل بعد هذا الإهمال؟ وماذا سنحصد من جراء ذلك التقشير؟

أوبعد هذا نطمع في استقامة الأولاد؟ نحيطهم بكل ما يؤدي إلى الانحراف، ثم نرجو بعد ذلك صلاحهم وفلاحهم؟

ومن هنا نعلم أية جناية نجنيها على الأولاد حين نقذف بهم إلى معترك الحياة في جو هذه التربية الخاطئة، ثم ما أسرعنا إلى الشكوى منهم حين نراهم منحرفين أو عاقين أو متمردين؛ ونحن قد غرسنا بأيدينا بذور هذا الانحراف، أو العقوق، أو التمرد⁽¹⁾.

أين تربيتنا في هذه الأعصار المتأخرة من تربية سلفنا الصالح الذين خرجوا لنا أكرم جيل، وأفضل رجيل لا يدانيهم أحد من بعدهم، ولا يبلغ شأوهم من لحق بهم.

فمن كان وراء هؤلاء الأبطال؟ ومن الذي صنع أولئك الرجال؟

إننا لو سبرنا أحوالهم، وتتبعنا سيرهم لوجدنا أن وراء كل واحد منهم بعد توفيق الله أباً عظيماً أو أمّاً عظيمة يربون أولادهم على تطلاب الكمال، ونشدان المعالي. ولناخذ نماذج لبعض الأمهات ممن كن وراء الخدور، يربين الأولاد، ويغرسن الفضيلة في جوانحهم، ويثبتن دعائمها في مسارب دمائهم.

¹ () انظر: أخلاقنا الاجتماعية ص 160.

صور مشرقة من تربية السلف لأولادهم

1_ هذا الزبير بن العوام ÷ تربي في حجر أمه صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها ونشأ على طبعها وسجيتها، تلك المرأة الشجاعة الكريمة. ومن صور شجاعته ما كان منها في معركة أحد، عندما أغرت هند بنت عتبة رضي الله عنها بحمزة بن عبد المطلب ÷ مَنْ خالسه فصرعه، وكان قد قَتَلَ أَلَهَا يوم بدر فنفذت إليه، فبقرت بطئه، ونزعت كبده، وجدعت أنفه، وصَلَمَتْ أذنيه، وعندما انقضت المعركة كادت جثمان حمزة تحيل من فرط ما مُثِّلَ به، فلما وقف به رسول الله "اشتد حزنه لما أصاب عمّه البطل الكريم، ووقف بنجوة منه، ثم أبصر فوجد عمته صفية بنت عبد المطلب مقبلَةً، لتنظر ما فعل القوم بأخيها، فقال رسول الله "لابنها الزبير بن العوام: **دونك أمك فامنعها** + وأكبرهمه ألا يجد بها الجزع لما ترى، فلما وقف ابنها يعترضها قالت: **دونك لا أرض لك لا أم لك** +.

وهناك ارتجفت أحناء بطل قريش، وزلزلت قدماه، واعتقل لسانه، وكر راجعاً إلى رسول الله "فحدثه حديث أمّه فقال: **خل سبيلها** +.

ثم انفرجت صفوف الناس لعمة رسول الله "فسارت حتى أتت أخاها فنظرت إليه، فصلت واسترجعت، واستغفرت له، وقالت لابنها: **قل لرسول الله ما أرضانا بما كان في سبيل الله، لأحتسبن، ولأصبرن إن شاء الله** +.

2_ وهذا أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب ÷ تَنَقَّلَ في تربيته بين صدرين من أملاً صدور العالمين حكمةً، وأحفلها بجلال الخلال وكريم الخصال، فكان مغذاه على أمه فاطمة بنت أسد، ومراحه على أم المؤمنين خديجة بنت خويلد_ رضي الله عنها.

3_ وهذا أمير المؤمنين، أريب العرب، والمعِيها معاوية بن أبي سفيان _ رضي الله عنهما_ من كان وراءه؟ لقد كان وراءه أمٌ عظيمة هي هند بنت عتبة_ رضي الله عنها_ وهي القائلة وقد قيل لها ومعاوية وليد بين يديها: إن عاش ساد قومه. قالت: ثكلته إن لم يسد إلا قومه.

وكان معاوية إذا نوزع الفخر بالمقدرة، وجوذب بالمباهاة بالرأي_ انتسب إلى أمه، فصعد أسماع خصمه بقوله: أنا ابن هند.

4_ وهذا عبد الله بن الزبير ÷ كان وراءه أم كريمة شجاعة هي أسماء بنت أبي بكر الصديق_ رضي الله عنهما_ وهي القائلة وقد نعي ابنها عبد الله: = ما يمنعني وقد أهدي رأس يحيى بن زكريا إلى بغي من بغايا بني إسرائيل +.

وهي القائلة_ أيضاً_ قبل ذلك عندما استشارها ابنها عبد الله بن الزبير في قتال الحجاج: = اذهب والله لضربة بالسيف على عرِّ أفضل من ضربة بالسوط على ذل +.

5_ وهذا أمير المؤمنين أعدل الملوك وأورعهم، وأزهدهم أبو حفص عمر بن عبد العزيز_ رحمه الله تعالى_ من كان وراءه؟ إنها أمه أم

عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب أكمل أهل
دهرها كمالاً، وأكرمهم خلافاً.

6_ وهذا عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز،

ذلك الفتى الذي كملت مروءته، وتناهى سوؤده فكان
مضرب المثل في العلم والشجاعة، والزهد والعبادة
بالرغم من أنه توفي وهو في التاسعة عشرة من
عمره.

فمن كان وراءه؟ لقد كان وراءه والمده الزاهد عمر
بن عبد العزيز، وأمه فاطمة بنت عبد الملك بن مروان
(1)

7_ وهذا سفيان الثوري، وما أدراك ما سفيان

الثوري؟

إنه فقيه العرب، ومحدثهم، وأحد أصحاب المذاهب
الستة المتبوعة، إنه أمير المؤمنين في الحديث.
وما كان ذلك العلم الشامخ، والإمام الجليل إلا ثمرة
أم صالحية، حفظ لنا التاريخ مآثرها وفضائلها ومكانتها،
وإن كان ضنَّ علينا باسمها.

روى الإمام أحمد بسنده عن وكيع قال: = قالت أم
سفيان لسفيان: يا بني: اطلب العلم وأنا أكفيك
بمغزلي +.

فكانت رحمها الله تعمل وتقدم له؛ ليتفرغ للعلم،
وكانت تتخوله بالموعظة والنصيحة؛ قالت له ذات
مرة: فيما يرويه الإمام أحمد: = يا بني إن كتبت عشرة
أحرفٍ فانظر هل ترى في نفسك زيادة في خشيتك
وحلمك ووقارك، فإن لم تر ذلك فاعلم أنها تضرك ولا
تنفعك +.

¹ () انظر: سيرة عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز، لابن رجب الحنبلي،
تحقيق: عفت وصال حمزة

**8_ وهذا الإمام الحبر، الفقيه البحر، العالم
النحري؛** الذي دَنَتْ له قطوف الحكمة، ودانت له
نواصي البلاغة، إنه محمد بن إدريس الشافعي الذي ملأ
أقطار الأرض علمًا وفقهًا وفضلًا كان ثمرة الأمِّ
العظيمة، فقد مات والده وهو جنين أو رضيع، فتولته
أمه بعنايتها، وأشرق عليه بحكمته، وكانت امرأة من
فضليات عقائل الأزدي.

9_ وهذا أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر؛
الذي ولي الأندلس، وهي ولاية تميد بالفتن، وتشرق
بالدماء، فما لبث أن قرَّرت له، وسكنت لهيبته، ثم خرج
في طليعة من جنده، فافتتح سبعين حصنًا في غزوة
واحدة، ثم أمعن بعد ذلك في قلب فرنسا، وتغلغل في
أحشاء سويسرا، وضم أطراف إيطاليا، حتى رِيَّض كل
أولئك له.

وبعد أن كانت قرطبة دار إماراة يُذكر فيها الخليفة
العباسي على منابرها، وتمضي باسمه أحكامها أصبحت
مقر خلافته، يحتكم إليها عواهل أوروبا وملوكها،
ويختلف إلى معاهدها علماء الأمم، وفلاسفتها.

أتدري ما سر هذه العظمة؟ وما مهبط وحيها؟ إنها
المرأة وحدها؛ فقد نشأ عبد الرحمن يتيمًا قتل عمُّه
أباه، فتفردت أمه بتربيته، وإيداع سر الكمال وروح
السمو في نفسه، فكان من أمره ما علمت.

10_ وربما تقول_أيها القارئ الكريم هؤلاء هم السلف
الأوائل، ف:

لا تَعْرِضَنَّ بذكرهم مع ذكرنا ليس الصحيح إذا مشى
وأقول لك: إن الأمثلة في هذا السياق لا تكاد تنقضي؛
فالخير ولله الحمد موجود في هذه الأمة، وإليك هذا

المثال لإمام من أئمة العلم، والفضل، والزهد، والتقوى ولد عام 1330هـ وتوفي عام 1420هـ. بعد أن خلف سيرة غزّاء، وذكرًا أطيّب من ريح المسك، بعد أن ملأ الدنيا علماً وفضلاً، وإصلاحاً؛ إنه سماحة الإمام العلامة الحبر البحر الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله رحمة واسعة. لقد مات والده وهو صغير؛ حيث إنه لا يذكر والده، وكان ضعيف البنية في صغره؛ حيث لم يستطع المشي إلا بعد أن بلغ الثالثة من عمره؛ فمن كان وراءه حتى صار إلى ما صار إليه؟

لقد تعهدته والدته بالتربية، والعناية؛ فكان منذ نعومة أظفاره سبّاقاً للخير، مواظباً على الطاعات، مبكراً للصلوات، وكان معروفاً بالكرم منذ صغره، ومنذ أن كان يطلب العلم على المشايخ؛ فكان إذا سلم عليه أحد دعاه إلى غدائه أو عشائه، وكان يأخذ زملاءه في الضحى؛ ليطعمهم التمر وما تيسر، مع قلة ذات اليد، وشطف العيش آنذاك.

ألف المروّة مدّ نشأ فكأنما رضع اللبان بها صبيّاً مُرضعاً ولقد كانت أمه بعد توفيق الله نعم المعين والمربي والموجه له.

وإلا كيف يبلغ هذه الإمامة وذلك التفرد مع يُتمه، ومع مرض العيون الذي أصابه في سن السادسة عشرة، ودّهّب ببصره وعمره تسع عشرة سنة؛ وما زالت أمه وراءه حتى توفيت وعمره خمس وعشرون سنة⁽¹⁾.

¹ () انظر: تفصيل سيرة ذلك الإمام في كتاب: جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز رواية الشيخ محمد موسى، وإعداد الكاتب، يسر الله إتمامه وإخراجه قريباً.

مناشدة

هذه نماذج عطرة، وصور مشرقة من سيرة السلف في التربية، تأخذ بالألباب، وتثير في النفس دواعي الإعجاب.

وإن الإنسان إذا رأى ما عليه الأولاد في هذه الأزمنة من التمرد والانحراف، ورأى ما عليه الآباء من الغفلة والإعراض، وقارن حالنا بحال السلف الصالح، إن الإنسان إزاء هذا ليكاد اليأس يدبُّ إلى قلبه، وينفث آثاره في روعه.

ولكن مهما يكن من شيء فالمسلم لا ييأس، ولا ينبغي له، فالذي أصلح السلف قادر على إصلاح الخلف، وهذه الأمة كالمطر؛ الخير في أولها وآخرها. فالأمر بعد توفيق الله بأيدينا، وذلك إذا أخذنا بالأسباب، ودخلنا البيوت من الأبواب، وسعينا في البحث عن العلاج، وأصلحنا الخطأ وقومنا الاعوجاج. فيا معشر الآباء والأمهات: شمروا عن ساعد الجد، واقدحوا لتربية الأولاد الزند، واستفرغوا لذلك الطاقة والجهد؛ فوالله لو لم يأتكم من تربية الأولاد إلا أن تكفوا شرهم، وتسلموا من تبعثهم.

السبل المعينة على تربية الأولاد

معينة على تربية الأولاد، وأمور يجدر بنا مراعاتها،
وينبغي لنا سلوكها مع فلذات الأكباد، فمن ذلك ما يلي
(1) :

1_ العناية باختيار الزوجة الصالحة: فلا يليق
بالإنسان أن يقدم على الزواج إلا بعد استخارة الله _ عز
وجل _ واستشارة أهل الخبرة والمعرفة; فالزوجة هي
أم الأولاد، وسينشؤون على أخلاقها وطباعها، ثم إن
لها في الغالب تأثيرًا على الزوج نفسه; لذلك قيل:
= المرء على دين زوجته; لما يستنزه الميل إليها من
المتابعة، ويجتذبه الحب لها من الموافقة، فلا يجد إلى
المخالفة سبيلًا، ولا إلى المباينة والمشاقة طريقًا + (1) .
قال أكرم بن صيفي لولده: = يا بني! لا يَحْمِلَنَّكُمْ
جمال النساء عن صراحة النسب; فإن المناكح الكريمة
مدرجة للشرف + (2) .
وقال أبو الأسود الدؤلي لبنيه: = قد أحسنت إليكم
صغارًا وكبارًا، وقبل أن تولدوا، قالوا: وكيف أحسنت

1 () انظر: تحفة المودود ص 146_ 148 وحقوق دعت إليها الفطرة
وقررتها الشريعة ص 9_ 11 وأخلاقنا الاجتماعية ص 156_ 157 وأدب
المسلم لمحمد سعيد مبيّض ص 161_ 163 وتذكير العباد بحقوق العباد
ص 18_ 23 و 66_ 77 وأثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع د. عبد
الله قادري ص 168_ 189 والمسؤولية في الإسلام د. عبد الله قادري
ص 99_ 119 وشخصية المسلم كما يصوغها الكتاب والسنة د. محمد
علي الهاشمي ص 93_ 106 ونظرات في الأسرة المسلمة ص 155_
170 والأولاد وتربيتهم في الإسلام لمحمد المقبل ص 131_ 136
2 () أدب الدنيا والدين، ص 132

إلينا قبل أن نولد؟ قال: اخترت لكم من الأمهات مَنْ لَا تُسَبِّونَ بها⁽³⁾.
 وأنشد الرياشي:
 فأول إحساني إليكم تَخَيَّرِي لِمَا جَدَّةُ الْأَعْرَاقِ بَادٍ عَفَافُهَا⁽²⁾

2_ سؤال الله الذرية الصالحة: فهذا العمل دأب الأنبياء والمرسلين، وعباد الله الصالحين كما قال تعالى عن زكريا عليه السلام: [قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ] (آل عمران: 38).

وكما حكى عن الصالحين أن من صفاتهم أنهم يقولون: [رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا] (الفرقان: 74).

3_ الفرح بمقدم الأولاد، والحذر من تسخطهم: فالأولاد هبة من الله عز وجل واللائق بالمسلم أن يفرح بما وهبه الله، سواء كان ذلك ذكراً أم أنثى، ولا ينبغي للمسلم أن يتسخط بمقدمهم، أو أن يضيق بهم ذرعاً، أو أن يخاف أن يثقلوا كاهله بالنفقات؛ فالله عز وجل هو الذي تكفل برزقهم كما قال سبحانه وتعالى: [نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ] (الإسراء: 31).

كما يحرم على المسلم أن يتسخط بالبنات، ويحزن لمقدمهن، فما أجدره بالبعد عن ذلك؛ حتى يسلم من التشبه بأخلاق الجاهلية، وينجو من الاعتراض على قدر الله، ومن ردَّ هبته عز وجل.

³ () أدب الدنيا والدين، ص 132

ففضل البنات لا يخفى، فهن البنات، وهن الأخوات، وهن الزوجات، وهن الأمهات، وهن كما قيل نصف المجتمع، وبلدن النصف الآخر، فهن المجتمع بأكمله. ومما يدل على فضلهن أن الله عز وجل سمى إتيانهن هبةً، وقدمهن على الذكور، فقال عز وجل: **إِلَهِ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ** (الشورى: 49).

وقال عليه الصلاة والسلام: **= من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن سترًا له من النار** (1).

وقال: **= لا يكون لأحد ثلاث بنات، أو ثلاث أخوات، أو بنتان أو أختان، فيتقي الله فيهن، ويحسن إليهن إلا دخل الجنة** (2). ولله در القائل:

حبذا من نعمة الله البنات الصالحات

هن للنسل وللأنس وهن الشجرات

وبإحسانٍ إليهنَّ تكون البركات (3)

4_ الاستعانة بالله على تربيتهم: فإذا أعان الله العبد على أولاده، وسدده ووفقه أفلح وأنجح، وإن خذل ووكل إلى نفسه فإنه سيخسر ويكون عمله وبالاً عليه، كما قيل:

إذا صح عونُ الخالق المرء لم عسيرًا من الآمال إلا ميسرا

(1) أخرجه البخاري (1418)، ومسلم (2629).

(2) أخرجه الإمام أحمد 3/43.

(3) انظر: صون المكرمات، للدوسري، ص 27.

وكما قيل:

إذا لم يكن عونٌ من الله فأول ما يجني عليه اجتهاده

5_ الدعاء للأولاد، وتجنب الدعاء عليهم: فإن كانوا صالحين دعي لهم بالثبات والمزيد، وإن كانوا طالحين دعي لهم بالهداية والتسديد.

والحذر كلُّ الحذر من الدعاء عليهم؛ فإنهم إذا فسدوا وانحرفوا فإن الوالدين أولُّ من يكتوي بذلك.

6_ تسميتهم بأسماء حسنة: فالذي يجدر بالوالدين أن يسموا أولادهم أسماءً إسلاميةً عربيةً حسنةً، وأن يحذروا من تسميتهم بالأسماء الممنوعة، أو الأسماء المكروهة، أو المشعرة بالقبح، فالأسماء تستمر مع الأبناء طيلة العمر، وتؤثر بهم، وبأخلاقهم.

قال ابن القيم X: = فقلُّ أن ترى اسماً قبيحاً إلا وهو على مسمى قبيح كما قيل:

وقلُّ أن أبصرت عيناك ذا إلا ومعناه لو فكَّرت في لقبه

والله سبحانه بحكمته في قضائه وقدره يلهم النفوس أن تضع الأسماء على حسب مسمياتها؛ لتناسب حكمته تعالى بين اللفظ ومعناه كما تناسبت بين الأسباب ومسبباتها.

قال أبو الفتح ابن جني: ولقد مر بي دهرٌ وأنا أسمع الاسم لا أدري معناه، فأخذ معناه من لفظه، ثم أكتشفه، فإذا هو ذلك بعينه، أو قريب منه.

فذكرت ذلك لشيخ الإسلام ابن تيمية X فقال: وأنا يقع لي كثيراً⁽¹⁾.

وقال ابن القيم X: = وبالجملة فالأخلاق والأعمال، والأفعال القبيحة - تستدعي أسماءً تناسبها، وأضدادها

¹ () تحفة المودود، ص 92.

تستدعي أسماءً تناسبها، وكما أن ذلك ثابت في أسماء الأوصاف فهو كذلك في أسماء الأعلام، وما سمي رسول الله " محمداً وأحمداً إلا لكثرة خصال الحمد فيه؛ ولهذا كان لواء الحمد بيده، وأمتة الحمّادون، وهو أعظم الخلق حمداً لربه_تعالى_لهذا أمر رسول الله " بتحسين الأسماء فقال: =حَسَّنُوا أَسْمَاءَكُمْ+ ; فإن صاحب الاسم الحسن قد يستحي من اسمه، وقد يحمله اسمه على فعل ما يناسبه، وترك ما يضاؤه؛ ولهذا ترى أكثر السفلى أسماءهم تناسبهم، وأكثر العلية أسماءهم تناسبهم، وبالله التوفيق + (1).

قال الشيخ العلامة بكر أبو زيد_حفظه الله_: =فعلى المسلمين عامة، وعلى أهل هذه الجزيرة العربية خاصة_العناية في تسمية مواليدهم بما لا ينافي الشريعة بوجه، ولا يخرج عن سنن لغة العرب؛ حتى إذا أتى إلى بلادهم الوافد، أو خرج منها القاطن_ فلا يسمع الآخرون إلا: عبد الله، وعبد الرحمن، ومحمد، وأحمد، وعائشة، وفاطمة، وهكذا من الأسماء الشرعية في قائمة يطول ذكرها زخرت بها كتب السير والتراجم.

أما تلك الأسماء الأعجمية المولدة لأمم الكفر المرفوضة لغة وشرعاً، والتي قد بلغ الحال من شدة الشغف بها التكني بأسماء الإناث منها، وهذه معصية المجاهرة مضافة إلى معصية التسمية بها_ فاللهم لا شماتة.

ومنها: إنديرا، جاكلين، ديانا، سوزان_ومعناها الإبرة، أو المحرقة_فالي، فكتوريا، كلوريا، لارا، لندا، مايا، منوليا، هايدي، يارا.

1 () تحفة المودود، ص 92.

وتلك الأسماء الأعجمية فارسية أو تركية، أو بربرية: مرفت، جودت، حقي، فوزي، شيرهان، شيرين، نيفين. وتلك التافهة الهمل: زوزو، فيفي، ميمي. وتلك الأسماء الغرامية الرخوة المتخاذلة: أحلام، أريج، تغريد، غادة، فاتن، هيام⁽¹⁾. وما أجمل قول البيحاني في منظومته: سم الذي جئت به محمداً أو طاهراً أو مصطفى أو نعم وإن شئت فعبد الله لكّي يعيش تحت لطف الله والبنت سميتها بأم هاني اسمها⁽²⁾

7_ تكنيتهم بكنى طيبة في الصغر: كأن يكنى الولد بأبي عبد الله، أو أبي أحمد أو غير ذلك؛ حتى لا تسبق إليهم الألقاب السيئة، فتستمر معهم طيلة العمر؛ فقد كان السلف الصالح يُكْتُون أولادهم وهم صغار، فتبقى معهم هذه الكنى حتى فراق الدنيا، وكتب التراجم والسير زاخرة بذلك.

8_ غرس الإيمان والعقيدة الصحيحة في نفوس الأولاد: فمما يجب بل هو واجب شيء على الوالدين أن يحرصوا كل الحرص، على هذا الأمر، وأن يتعاهدوه بالسقي والرعاية، كأن يعلم الوالد أولاده منذ الصغر أن ينطقوا بالشهادتين، وأن يستظهروها، وينمي في قلوبهم محبة الله عز وجل وأن ما بنا من نعمة فمنه وحده، ويعلمهم أيضاً أن الله في السماء، وأنه سميع بصير، ليس كمثل شيء، إلى غير ذلك من أمور

¹ () تسمية المولود، ص 6_7.

² () تربية البنين، منظومة البيحاني، ص 20

العقيدة، وهكذا يوجههم إذا كبروا إلى قراءة كتب العقيدة المناسبة لهم.

9_ غرس القيم الحميدة والخلال الكريمة في

نفوسهم: فيحرص الوالد على تربيتهم على التقوى، والحلم، والصدق، والأمانة، والعفة، والصبر، والبر، والصلة، والجهاد، والعلم؛ حتى يَشْبُوا متعشقين للبطولة، محبين لمعالي الأمور، ومكارم الأخلاق.

10_ تجنيبهم الأخلاق الرذيلة، وتقبيحها في

نفوسهم: فيُكْرَهُ الوالد لهم الكذب، والخيانة، والحسد، والحقد، والغيبة، والنميمة، والأخذ من الآخرين، وعقوق الوالدين، وقطيعة الأرحام، والجبن، والأثرة، وغيرها من سفاسف الأخلاق ومردولها؛ حتى ينشأوا مبغضين لها، نافرين منها.

11_ تعليمهم الأمور المستحسنة، وتدريبهم

عليها: كتشميت العاطس، وكتمان الثأوب، والأكل باليمين، وآداب قضاء الحاجة، وآداب السلام ورده، وآداب الرد على الهاتف، واستقبال الضيوف، والتكلم بالعربية وغير ذلك.

فإذا تدرّب الولد على هذه الآداب والأخلاق، والأمور المستحسنة منذ الصغر - ألفها وأصحت سجية له؛ فما دام أنه في الصبا فإنه يقبل التعليم والتوجيه، ويشب على ما عُود عليه كما قيل:

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عودُه أبوه

وكما قيل:

إن الغصون إذا ولا يلين إذا قوّمته
فَقَوِّمُوا أَوْلَادَكُمْ عَلَى خَيْرِ مَا كَانُوا

وكما قال صالح بن عبد القدوس:

وإن من أدبته في الصبا كالعود يسقى الماء في
حتى تراه ناظراً مورقاً بعد الذي قد كان من يبسه

12_ الحرص على استعمال العبارات المقبولة الطيبة مع الأولاد، والبعد عن العبارات المرذولة السيئة: فمما ينبغي للوالدين مراعاته أن يحرصا على انتقاء العبارات الحسنة المقبولة الطيبة، البعيدة عن الاسفاف في مخاطبة الأولاد، وأن يربأوا بأنفسهم عن السب، والشتم، واللجاج وغير ذلك من العبارات البذيئة المقذعة. فإذا أعجب الوالدين شيء من عمل الأولاد على سبيل المثال قالوا: ما شاء الله، وإذا رأيا ما يثير الاهتمام قالوا: سبحان الله، الله أكبر، وإذا أحسن الأولاد قالوا لهم: بارك الله فيكم، أحسنتم، وإذا أخطأوا قالوا: لا يا بني، ما هكذا، إلى غير ذلك من العبارات المقبولة الحسنة؛ حتى يآلف الأولاد ذلك، فتعفَّ ألسنتهم عن السباب والتفحش.

13_ الحرص على تحفيظ الأولاد كتاب الله: فهذا العمل من أجل الأعمال التي يمكن أن يقوم بها الوالدان؛ فالاشتغال بحفظه، والعمل به اشتغال بأعلي المطالب، وأشرف المواهب، ثم إن فيه حفظاً لأوقاتهم، وحماية لهم من الضياع والانحراف، فإذا حفظوا القرآن أثر ذلك في سلوكهم وأخلاقهم، وفَجَّر ينابيع الحكمة في قلوبهم.

14_ تحصينهم بالأذكار الشرعية: وذلك بإلقائها إليهم إن كانوا صغارا، وتحفيظهم إياها إن كانوا مميزين، وتبيين فضلها، وتعويدهم على الاستمرار عليها.

15_ الحرص على مسألة التربية بالقُدوة:

فهذه مسألة مهمة، فينبغي للوالدين أن يكونا قدوةً للأولاد في الصدق، والاستقامة، وغير ذلك، وأن يتمثلا ما يقولانه.

ومن الأمور المستحسنة في ذلك أن يقوم الوالدان بالصلاة أمام الأولاد؛ حتى يتعلم الأولاد الصلاة عملياً من الوالدين، وهذا من والحكم التي شرعت لأجلها صلاة النافلة في البيت.

ومن ذلك كظم الغيظ، وحسن استقبال الضيوف، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، وغير ذلك.

16_ الحذر من التناقض: فلا يليق بالوالدين أن يأمر الأولاد بأمر ثم يعمل بخلافه، فالتناقض كما مـ يفقد النصائح أثرها.

17_ الوفاء بالوعد: وهو داخل فيما مضى إلا أنه أفرد لأهميته، ولكثرة وقوع الناس في الخلف فيه، فكثير من الوالدين إذا أراد التخلص من إحراج أحد الأولاد وعده بالوعود الكثيرة، فيعده بشراء الحلوى، أو بالذهاب إلى الحديقة، أو بشراء دراجة، أو غير ذلك، وربما لا يقوم الوالد بذلك أبداً، مما يجعل الولد ينشأ على إلف ذلك الخلق الرذيل.

فالذي يليق بالوالد، بل ويجب عليه إذا وعد أحداً من أبنائه وعداً - أن يتمه ويفي به، وإن حال بينه وبين إتمامه حائل اعتذر من الولد، ويُنَّ له مسوغات ذلك.

18_ إبعاد المنكرات وأجهزة الفساد عن الأولاد: فمما يجب على الوالد تجاه أولاده أن يحميهم من المنكرات، وأن يطهر بيته منها، حتى يحافظ على سلامة فطر الأولاد، وعقائدهم، وأخلاقهم.

19_ إيجاد البدائل المناسبة للأولاد: فكما أنه يجب على الوالدين إبعاد المنكرات فكذلك يجدر بهم أن يوجدوا البدائل المناسبة المباحة، سواء من الألعاب، أو الأجهزة التي تجمع بين المتعة والفائدة، حتى يجد الأولاد ما يشغلون به وقت فراغهم.

20_ تجنبهم أسباب الانحراف الجنسي: وذلك بإبعاد أجهزة الفساد عنهم، وتجنبهم مطالعة القصص الغرامية، والمجلات الخليعة، التي يروج لها تجار الغرائز والأعراض، وعدم السماح لهم بسماع الأغاني، أو الإطلاع على الكتب الجنسية التي تبحث في التناسليات صراحة، وتشعل مخازن البارود الكامنة فيهم⁽¹⁾.

21_ تجنبهم الزينة الفارهة والميوعة القاتلة: فينبغي للوالد أن يمنع أولاده من الإفراط في التجميل، والمبالغة في التأنق والتطيب، وأن ينهأهم عن التعري والتكشف، والتشبه بأعداء الله الكافرين؛ لأن هذه الأعمال تتسبب في قتل مروءتهم، وإفساد طباعهم، وتقود إلى إغواء الآخرين وفتنتهم، وتدعو إلى جر الأولاد إلى الفاحشة والرذيلة، خصوصاً إذا كانوا صغاراً، أو ذوي منظر حسن.

22_ تعويدهم على الخشونة والرجولة، والجد والاجتهاد، وتجنبهم الكسل والبطالة والراحة والدعة: فلا يليق بالأب أن يعود أولاده على الكسل والراحة والبطالة والدعة، بل عليه أن يأخذهم بأضدادها، ولا يريحهم إلا بما يجم أنفسهم للشغل؛ فإن للكسل والبطالة عواقب سوء، ومغبة ندم، وللجد والتعب عواقب حميدة إما في الدنيا، وإما في العقبى،

¹ () انظر: الانحرافات الجنسية وأمراضها، د: فايز الحاج، ص 66.

وإما فيهما; فأروح الناس أتعب الناس، وأتعب الناس أروح الناس، فالسيادة في الدنيا والسعادة في العقبى - لا يوصل إليها إلا على جسر من التعب⁽¹⁾.
فالراحة تعقبها الحسرة، والتعب يُعقبُ الراحة، وصدق من قال:

بصرت بالراحة الكبرى فلم تنال إلا على جسر من التعب.
23_ ومما ينبغي في ذلك تعويدهم الانتباه
آخر الليل: فإنه وقت الغنائم، وتفريق الجوائز، فمستقل، ومستكثر، ومحروم، فمن اعتاده صغيرًا سهل عليه كبيرًا⁽²⁾.

24_ تجنيبهم فضول الطعام، والكلام، والمنام، ومخالطة الأنام: فإن الخسارة في هذه الفضلات، وهي تُفوّت على العبد خير دنياه وأخرته، ولهذا قيل: من أكل كثيرًا شرب كثيرًا; فنام كثيرًا، فخر كثيرًا.

25_ تشويقهم للذهاب إلى المسجد صغارًا
وحملهم على الصلاة فيه كبارًا: كأن يعمد الوالد إلى تشويق أولاده للذهاب للمسجد قبل تمام السابعة من أعمارهم، فيشوقهم قبل ذلك بأسبوع بأنه سيذهب بالولد إلى المسجد، ثم يذهب به، ويحرص على ضبطه فيه، ولا يسمح له بأن يكثر الحركة ويشغل المصلين، أما إذا كبروا فإنه يجب عليه أن يقوم عليهم، وأن يأمرهم بالصلاة في المسجد مع جماعة المسلمين، وأن يحرص على هذا الأمر، ويصطبر عليه.

¹ () انظر: تحفة المودود، ص 146.

² () انظر: تحفة المودود، ص 146.

قال الله - تعالى - : [**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرِزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى**] (طه: 132) .

26_ مراقبة ميول الولد، وتنمية مواهبه، وتوجيهه لما يناسبه: بحيث يجد في المنزل ما ينمي مواهبه ويصقلها، ويعددها للبناء والإفادة، ويجد من يوجهه إلى ما يناسبه ويلائمه.

قال ابن القيم_رحمه الله تعالى_ : =ومما ينبغي أن يعتمد حال الصبي، وما هو مُسْتَعِدُّ له من الأعمال، ومهياً له منها، فيعلم أنه مخلوق له، فلا يحمله على غيره ما كان مأذوناً فيه شرعاً؛ فإنه إن حمله على غير ما هو مستعد له_ لم يفلح فيه، وفاته ما هو مهياً له، فإذا رآه حسن الفهم، صحيح الإدراك، جيد الحفظ، واعياً - فهذه علامات قبوله، وتهنيئه للعلم؛ لينقشه في لوح قلبه ما دام خالياً، وإن رآه ميالاً للتجارة والبيع والشراء أو لأي صنعة مباحة_ فليمكنه منها؛ فكل ميسر لما خلق له + (1).

27_ تنمية الجرأة الأدبية في نفس الولد: وذلك بإشعاره بقيمته، وزرع الثقة في نفسه؛ حتى يعيش كريماً شجاعاً صريحاً جريئاً في آرائه، في حدود الأدب واللياقة، بعيداً عن الإسفاف والصفافة؛ فهذا مما يشعره بالطمأنينة، ويكسبه القوة والاعتبار، بدلاً من التردد، والخوف، والهوان، والذلة، والصغار (2).

28_ استشارة الأولاد: كاستشارتهم ببعض الأمور المتعلقة بالمنزل أو غير ذلك، واستخراج ما لديهم من أفكار، كأخذ رأيهم في أثاث المنزل، أو لون السيارة

¹ () انظر: تحفة المودود، ص 147_ 148.

² () انظر: المراهقون، د: عبد العزيز النغمشي، ص 48.

التي سيشتريها الأب، أو أخذ رأيهم في مكان الرحلة أو موعدها، ثم يوازن الوالد بين آرائهم، ويطلب من كل واحد منهم أن يبدي مسوغاته، وأسباب اختياره لهذا الرأي، وهكذا.

ومن ذلك إعطاؤهم الحرية في اختيار حقائبهم، أو دفاترهم، أو ما شاكل ذلك؛ فإن كان ثم محذور شرعي فيما يختارونه بيّنه لهم.

فكم في هذا العمل من زرع للثقة في نفوس الأولاد، وكم فيه من إشعار لهم بقيمتهم، وكم فيه من تدريب لهم على تحريك أذهانهم، وشحذ قرائحهم، وكم فيه من تعويد لهم على التعبير عن آرائهم.

29_ تعويد الولد على القيام ببعض المسؤوليات: كالإشراف على الأسرة في حالة غياب ولي الأمر، وكتعويده على الصرف، والاستقلالية المالية، وذلك بمنحه مصروفاً مالياً كل شهر أو أسبوع؛ ليقوم بالصرف منه على نفسه وبيته.

30_ تعويد الأولاد على المشاركة الاجتماعية: وذلك بحثهم على المساهمة في خدمة دينهم، وإخوانهم المسلمين، إما بالجهاد في سبيل الله، أو بالدعوة إلى الله، أو إغاثة المهووفين، أو مساعدة الفقراء والمحتاجين، أو التعاون مع جمعيات البر، وغيرها.

31_ التدريب على اتخاذ القرار: كان يعمد الأب إلى وضع الابن في مواضع التنفيذ، وفي المواقف المحرجة، التي تحتاج إلى حسم الأمر، والمبادرة في اتخاذ القرار، وتحمل ما يترتب عليه، فإن أصاب شجعه وشد على يده، وإن أخطأ قومه وسدده بلطف؛ فهذا

مما يعود على مواجهة الحياة، والتعامل مع المواقف المحرجة.

32_ فهم طبائع الأولاد ونفسياتهم: وهذه المسألة تحتاج إلى شيء من الذوق، وسبر الحال، ودقة النظر.

وإذا وفق المربي لتلك الأمور، وعامل أولاده بذلك المقتضى_ كان حريّاً بأن يحسن تربيتهم، وأن يسير بهم على الطريقة المثلى.

33_ تقدير مراحل العمر للأولاد: فالولد يكبر، وينمو تفكيره، فلا بدّ أن تكون معاملته ملائمة لسنه وتفكيره وإستعداده، وألا يعامل على أنه صغير دائماً، ولا يعامل أيضاً_ وهو صغير على أنه كبير; فيطالب بما يطالب به الكبار، ويعاتب كما يعاتبون، ويعاقب كما يعاقبون.

34_ تلافي مواجهة الأولاد مباشرة: وذلك قدر المستطاع خصوصاً في مرحلة المراهقة، بل ينبغي أن يقادوا عبر الإقناع، والمناقشة الحرة، والحوار الهادئ البناء، الذي يجمع بين العقل والعاطفة.

35_ الجلوس مع الأولاد: فمما ينبغي للأب_ مهما كان له من شغل_ أن يخصص وقتاً يجلس فيه مع الأولاد، يؤنسهم فيه، ويسليهم، ويعلمهم ما يحتاجون إليه، ويقص عليهم القصص الهادفة; لأن اقتراب الولد من أبويه ضروري جدّاً; وله آثاره الواضحة، فهذا أمر مجرب; فالآباء الذين يقتربون من أولادهم; ويجلسون معهم، ويمازحونهم- يجدون ثمار ذلك على أولادهم، حيث تستقر أحوال الأولاد، وتهدأ نفوسهم، وتستقيم طباعهم.

أما الآباء الذين تشغلهم الدنيا عن أولادهم فإنهم يجدون غبَّ ذلك على الأولاد، فينشأ الأولاد وقد اسودت الدنيا أمامهم، لا يعرفون مواجهة الحياة، فيتكبنون الصراط، ويحيدون عن جادة الصواب، وربما تسبب ذلك في كراهية الأولاد للوالدين، وربما قادهم ذلك إلى الهروب من المنزل، والانحدار في هاوية الفساد.

36_ العدل بين الأولاد: فما قامت السموات والأرض إلا بالعدل، ولا يمكن أن تستقيم أحوال الناس إلا بالعدل؛ فمما يجب على الوالدين تجاه أولادهم أن يعدلوا بينهم، وأن يتجنبوا تفضيل بعضهم على بعض، سواء في الأمور المادية كالعطايا والهدايا والهبات، أو الأمور المعنوية، كالعطف، والحنان، وغير ذلك.

37_ إشباع عواطفهم: فمما ينبغي مراعاته مع الأولاد إشباع عواطفهم، وإشعارهم بالعطف، والرحمة، والحنان؛ حتى لا يعيشوا محرومين من ذلك، فيبحثوا عنه خارج المنزل؛ فالكلمة الطيبة، واللمسة الحانية، والبسمة الصادقة، وما جرى مجرى ذلك له أثره البالغ في نفوس الأولاد.

38_ النفقة عليهم بالمعروف: وذلك بكفائتهم، والقيام على حوائجهم؛ حتى لا يضطروا إلى البحث عن المال خارج المنزل.

39_ إشاعة الإيثار بينهم: وذلك بتقوية روح التعاون بينهم، وتثبيت أواصر المحبة فيهم، وتعويدهم على السخاء، والشعور بالآخرين، حتى لا ينشأ الواحد منهم فردياً لا هم له إلا نفسه.

ثم إن تربيتهم على تلك الخلال تقضي على كثير من المشكلات التي تحدث داخل البيوت.

40_ الإصغاء إليهم إذا تحدثوا وإشعارهم بأهمية كلامهم: بدلاً من الانشغال عنهم، والإشاحة بالوجه وترك الإنصات لهم. فالذي يجدر بالوالد إذا تحدث ولده_ خصوصًا الصغير أن يصغي له تمامًا، وأن يبدي اهتمامه بحديثه، كأن تظهر علامات التعجب على وجهه، أو يبدي بعض الأصوات أو الحركات التي تدل على الإصغاء والاهتمام والإعجاب، كأن يقول: رائع، حسن، صحيح، أو أن يقوم بالهمهمة، وتحريك الرأس وتصويبه، وتصعيده، أو أن يجيب على أسئلته أو غير ذلك، فمثل هذا العمل له آثار إيجابية كثيرة منها:

أ_ أن هذا العمل يعلم الولد الطلاقة في الكلام.

ب_ يساعده على ترتيب أفكاره وتسلسلها.

ج_ يدربه على الإصغاء، وفهم ما يسمعه من الآخرين.

د_ أنه ينمي شخصية الولد، ويصقلها.

هـ_ يقوي ذاكرته، ويعينه على استرجاع ما مضى.

و_ يزيد قرباً من والده⁽¹⁾.

41_ تفقد أحوال الأولاد، ومراقبتهم من بعد:

ومن ذلك ما يلي:

أ_ ملاحظتهم في أداء الشعائر التعبدية من صلاة، ووضوء، ونحوها.

ب_ مراقبة الهاتف المنزلي.

ج_ النظر في جيوبهم وأدراجهم من حيث لا يشعرون، كأن ينظر في أدراجهم إذا ذهبوا للمدرسة، أو ينظر في جيوبهم إذا ناموا، ثم يتصرف بعد ذلك بما يراه مناسباً.

د_ السؤال عن أصحابهم.

¹ () انظر: مشكلات تربوية في حياة طفلك، لمحمد رشيد العويد، ص

هـ_مراقبة ما يقرؤونه، وتحذيرهم من الكتب التي تفسد أديانهم، وأخلاقهم، وإرشادهم إلى الكتب النافعة.

42_ إكرام الصحبة الصالحة للولد: وذلك

بتشجيع الولد على صحبتهم، وحثه على الاستمرار معهم، وبحسن استقبالهم إذا زاروا الولد، بل والمبادرة إلى استزارتهم، وتهيئة ما يلزم لهم من تيسيرات مادية ومعنوية، كأن يكرمهم بما يلائمهم، ويحرص على استقبالهم بالبشر والترحاب، ويشعرهم بقيمتهم، ويبادلهم أطراف الحديث، ويسألهم عن أحوالهم وأحوال ذويهم وأهليهم.

فهذه الصنيع يشعر الأصحاب بمنزلتهم، ويشعر الولد بقيمته واعتباره، كما أنه حافز للولد على طاعة والديه واحترامهما، كما أنه حافز له على التمسك بهؤلاء، والبعد عن رفقة السوء.

أما النفور من الصحبة الصالحة للولد والجفاء في معاملتهم فلا يليق، ولا ينبغي؛ لأنه يشعر الولد بعدم قبولهم والرضا عنهم، فيسعى لمقاطعتهم، أو يتخفى في علاقته بهم، أو يتركهم، فيقع فريسة لأصحاب السوء.

43_ مراعاة الحكمة في إنقاذ الولد من رفقة

السوء: فلا ينبغي للوالد أن يبادر إلى العنف واستعمال الشدة منذ البداية، فلا يسارع إلى إهانتهم أمام ولده، أو طردهم إذا زاروه لأول مرة، لأن الولد متعلق بهم، ومقتنع بصحبته لهم.

بل ينبغي للأب أن يتدرج في ذلك، فيبدأ بإقناع ولده بسوء صحبتته، وضررهم عليه، ثم يقوم بعد ذلك بتهديده وتخويفه وإشعاره بأنه ساعٍ لتخليصه منهم، وأنه

سيذهب إلى أولياء أمورهم كي يبعدوا أبناءهم عنه، فإذا حذر ابنه وسلك معه ما يستطيع، وأعيتة الحيلة في ذلك، ورأى أن بقاءه معهم ضرر محقق _ فهناك يسعى لتخليصه منهم بما يراه مناسباً.

44_ التغافل_ لا الغفلة_ عن بعض ما يصدر من الأولاد من عبث أو طيش: فذلك نمط من أنماط التربية، وهو مبدأ يأخذ به العقلاء في تعاملهم مع أولادهم ومع الناس عموماً؛ فالعاقل لا يستقصي، ولا يُشعر من تحت يده أو من يتعامل معهم بأنه يعلم عنهم كل صغيرة وكبيرة؛ لأنه إذا استقصى، وأشعرهم بأنه يعلم عنهم كل شيء ذهبت هيئته من قلوبهم. ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي

ثم إن تغافله يعينه على تقديم النصح بقالب غير مباشر، من باب: إياك أعني واسمعي يا جاره، ومن باب: ما بال أقوام. وربما كان ذلك أبلغ وأوقع.

45_ البعد عن تضخيم الأخطاء: فمما يجدر بالوالدين أن يأخذوا به_ ألا يضخموا الأخطاء، ويعطوها أكبر من حجمها، بل عليهم أن ينزلوها منازلها، وأن يدركوا أنه لا يخلو أحد من الأخطاء، فجميع البيوت تقع فيها الأخطاء فمقل ومستكثر؛ فكسر الزجاج، أو بعض الأواني، أو العبث ببعض مرافق المنزل، ونحو ذلك_ لا يترتب عليه كبير فساد؛ فكل الناس يعانون من ذلك.

46_ اصطناع المرونة في التربية: فإذا اشتدت الأم على الولد لان الأب، وإذا عتف الأب لانت الأم؛ فقد يقع الوالد على سبيل المثال_ في خطأ فيؤنبه والده تأنيباً يجعله يتوارى؛ خوفاً من العقاب الصارم، فتأتي الأم، وتطيب خاطره، وتوضح له خطأه برفق، عندئذ

يشعر الولد بأنهما على صواب، فيقبل من الأب تأنبيه، ويحفظ للأم معروفها، والنتيجة أنه سيتجنب الخطأ مرة أخرى⁽¹⁾.

47_ التربية بالعقوبة: فالأصل في تربية الأولاد لزوم الرفق واللين إلا أن العقوبة قد يحتاج إليها المرابي، بشرط ألا تكون ناشئة عن سورة جهل، أو ثورة غضب، وألا يلجأ إليها إلا في أضيق الحدود، وألا يؤدب الولد على خطأ ارتكبه للمرة الأولى، وألا يؤدبه على خطأ أحدث له ألماً، وألا يكون أمام الآخرين. ومن أنواع العقوبة العقاب النفسي، كقطع المديح، أو إشعار الولد بعدم الرضا، أو توبيخه أو غير ذلك. ومنها العقاب البدني الذي يؤلمه ولا يضره.

48_ إعطاء الأولاد فرصة للتصحيح: فمما ينبغي للوالد مراعاته في التربية أن يعطي أولاده فرصة للتصحيح إذا أخطأوا، حتى ينهضوا للأمثل، ويرتقوا للأفضل، ويتخذوا من الخطأ سبيلاً للصواب؛ فالصغير يسهل قياده، ويهون انقياده كما قال زهير بن أبي سلمى: وإن سفاه الشيخ لا حلم بعده⁽²⁾

وكما قيل:

إن الغلام مطيعٌ من يؤدبه ولا يطيعك ذو سن لتأديب
فلا ينبغي للوالد أن يأخذ موقفاً واحداً من أحد أولاده، فيجعله ذريعة لوصمه وعيبه، كأن يسرق مرة فيناديه باسم السارق دائماً، دون أن يعطيه فرصة للتصحيح وهكذا

¹ () انظر: رسائل إلى ابنتي، ص 78_79.

² () شرح المعلقات للزوزني، ص 155.

49_ الحرص على أن يكون التفاهم قائماً بين الوالدين: فعلى الوالدين أن يحرصا كل الحرص عليه، وأن يسلكا كافة السبل الموصلة إليه، وعليهما أن يجتنبوا الوسائل المفضية للشقاق، ويتعدا عن عتاب بعضهما لبعض أمام الأولاد؛ حتى يتوفر الهدوء في البيت، وتسود الألفة فيه، فيجد الأولاد فيه الراحة والسكن، والأنس والسرور، فيتعلقوا بالبيت أكثر من الشارع.

50_ تقوى الله في حالة الطلاق: فإذا لم يحصل بين الوالدين وفاق، وقدر الله بينهما الطلاق فعليهما بتقوى الله، وألا يجعلوا الأولاد ضحية. لعنادهما وشقاقهما، وألا يغري كل واحد منهما بالآخر، بل عليهما أن يعينا الأبناء على كل خير، ويوصي كل واحد منهما الأولاد ببر الآخر، بدلاً من التحريش، وإيغار الصدور، وتبادل التهم، وتأليب الأولاد، وإلا فإن النتيجة الحتمية في الغالب أن الأولاد يتمردون على الجميع، والوالدان هما السبب في ذلك؛ فلا يلوما إلا أنفسهما، كما قال أبو ذؤيب الهذلي:

فلا تَعْصَبَنَّ من سيرةِ أنتِ وأولِ راضٍ سُنَّةً من

51_ العناية باختيار المدارس المناسبة للأولاد، والحرص على متابعتهم في المدارس: فعلى الوالد أن يحرص كل الحرص على اختيار المدارس المناسبة لأولاده من حيث طلابها، وإدارتها، ومدرسوها، ومناهجها، والتي تُعنى باستقامة طلابها، وتهتم بأخلاقهم، وشمائلمهم، قولاً وعملاً؛ لأن الأغلب أن الولد إنما يختار أصدقاءه من المدرسة من أبناء صفه الذين يشاكلونه في المزاج والطبيعة.

وعلى الوالد أن يقوم بمتابعة الأولاد في المدارس باستمرار، حتى يتأكد بنفسه من صلاح الولد واستقامته، ولئلا يفاجأ في يوم من الأيام بأن ولده على خلاف ما كان يتوقعه ويؤمله، ولأجل أن يدرك الولد بأن والده وراءه يسأل عنه ويتابعه.

52_ إقامة الحلقات العلمية داخل البيوت:

بحيث تعقد تلك الحلقات في مواعيد محددة، ويقراً فيها بعض الكتب الملائمة للأولاد، فيتعلمون بذلك القراءة، وحسن الاستماع، وأدب الحوار.

53_ إقامة المسابقات الثقافية بين الأولاد،

ووضع الجوائز والحوافز لها: فذلك العمل مما يشحذ هممهم، ويحرك أذهانهم، ويدربهم على البحث والنظر في كتب أهل العلم، ويُعدهم للراقي في مستوياتهم.

54_ تكوين مكتبة منزلية ميسرة: تحتوي على

كتب وأشرطة ملائمة لسنيهم ومداركهم، فالمكتبة من أعظم روافد الثقافة.

55_ اصطحاب الأولاد لمجالس الذكر:

كالمحاضرات، والندوات التي تعقد في المساجد وغيرها؛ فهي مما يثري الولد بالمعلومات، ويمده بالخير، ويعدّه لمواجهة الحياة، ويجب على أسئلته التي تتردد في ذهنه.

كما أنها تغذيه بالإيمان، وتربط على قلبه، وتربيته على أدب الاستماع.

56_ الرحلة مع الأولاد: إما إلى مكة المكرمة، أو

المدينة النبوية، أو غيرها من الأماكن المباحة، حتى يتعرف الوالد على الأولاد أكثر وأكثر، ولأجل أن يُجمِّمهم،

ويشرح صدورهم، ويكسبهم خبرات جديدة، إلى غير ذلك من فوائد السفر التي لا تحصى.

57_ ربطهم بالسلف الصالح في الاقتداء

والاهتداء: حتى يسيروا على خطاهم، ويترسموا منهجهم، ولكي يجدوا فيهم القدوة الصالحة التي يجدر بهم أن يقتدوا بها، فإن كان لدى الولد ميول إلى العلم وجد من يقتدي به، وإن كان شجاعاً مقداماً وجد من يترسم خطاه، وإن كان كسولاً وجد في سيرة السلف ما يبعث فيه الروح، وعلو الهمة، وهكذا.

فسير السلف الصالح حافلة بكل خير، فما أروع أن يرتبط المسلم بهم، وأن يحذو حذوهم، بدلاً من الاقتداء بالهابطين والهازلين من اللاعبين، والمطربين، والمنحرفين، وغيرهم.

58_ العناية بتعليم البنات ما يحتجن إليه من

أمر دينهن ودنياهن: فكم من الناس من فرط في هذا الحق، وكم من النساء من يجهلن على سبيل المثال_ أحكام الحيض والنفاس ومسائل الدماء عموماً، بالرغم من أنه يتعلق بها ركنان من أركان الإسلام وهما الصلاة، والصيام، بل والحج، وكم من النساء من تجهل إقامة الصلاة على الوجه المطلوب.

فينبغي أن يُعني كل والد بتعليم بناته أمور دينهن، كما ينبغي أن يُعلمن أمور حياتهن الخاصة من كيِّ، وغسيل، وطبخ، وخباطة، وتدبير للمنزل، وغير ذلك. وبذلك يَكُنَّ على أتم استعداد لاستقبال الحياة الزوجية.

59_ منع البنات من الخروج وحدهن: سواء للسوق، أو للطبيب، أو غير ذلك، بل لا بد من وجود المحرم معهن، وألا يخرجن إلا للحاجة الملحة.

60_ منع البنات من التشبه بالرجال، ومنع البنين من التشبه بالنساء.

61_ منع الأولاد بنين وبنات من التشبه بالكفار.

62_ منع البنين من الاختلاط بالنساء، ومنع البنات من الاختلاط بالرجال: بل ينبغي أن يعيش الابن في محيط الذكور، والبنات في محيط الإناث، خصوصًا إذا بدأ الابن أو البنت بالتمييز.

63_ العناية بصحة الأولاد: فكم من الناس من قد فرط بهذا الأمر، ولم يرعَهُ حق رعايته؛ فالأولاد أمانة، ومن الأمانة أن يعتني الوالد بصحتهم، خصوصًا وهم صغار؛ لأن كثيرًا من العاهات والأمراض تبدأ مع الأولاد وهم صغار، فإذا أهمل علاجها لازمت الأولاد طيلة أعمارهم، وربما قضت عليهم.

ومما يحسن بالوالدين في هذا الصدد أن يقوموا على شؤون الأولاد إذا أصيبوا بعاهات مزمنة، أو إذا ولدوا وهم معاقون، أو مصابون ببعض التشوهات الخلقية، أو ما شاكل ذلك؛ فحريٌّ بالوالدين أن يقوموا على رعاية الأولاد، وأن يحسنوا تربيتهم، وأن يشعروهم بمكانتهم، كما يحسن بالوالدين أن يحتسبوا الأجر عند الله، وأن يحذروا كل الحذر من التسخط والاعتراض على قضاء الله.

بل عليهم أن يحمدوا الله على ما آتاهم، وأن يتحروا الخيرة فيما قضاه الله، وربما كانت الخيرة خفية، وربما

أن الله يرحم الأسرة جميعها، ويدُرُّ عليها الأرزاق، ويدفع عنها صنوف البليات بسبب هؤلاء المساكين.

64_ عدم استعجال النتائج في التربية: فعلى

الوالد إذا بذل مستطاعه لولده، وبين له وحذره ونصح له واستنفذ كل طاقته_ ألا يستعجل النتائج، بل عليه أن يصبر، ويصابر، ويستمر في دعائه لولده وحرصه عليه؛ فلربما استجاب الولد بعد حين، وادَّكر بعد أمة.

65_ الحذر من اليأس: فإذا ما رأى الوالد من

أولاده إعراضاً أو نفوراً أو تمادياً_ فعليه ألا ييأس من صلاحهم واستقامتهم؛ فاليأس من روح الله ليس من صفات المؤمنين، بل عليه أن ينتظر الفرج من الله_ عز وجل_ فلعل نفحةً من نفحات الرحيم الكريم ترد الولد إلى رشده، وتُقَصِّرُه عن غيِّه.

66_ اليقين بأن التربية الصالحة لا تذهب

سديّ: فلو لم يأتِ الإنسان من نصحه لأولاده وحرصه على هدايتهم وصلاحهم_ إلا أن يكون أعذَرَ إلى الله بذلك.

فالنصح ثمرته مضمونة بكل حال؛ فإما أن يستقيم الأولاد في الحال، وإما أن يفكروا في ذلك، وإما أن يُقَصِّروا بسببه عن التمادي في الباطل، أو أن يُعْذِرَ الإنسان إلى الله_ كما مرَّ.

بل كثيراً ما يصلح الأولاد بعد وفاة والدهم الذي ربَّاهم على الفضائل؛ حيث لم يدَّكروا إلا بعد أمة.

67_ إعانة الأولاد على البر: فبر الوالدين وإن

كان واجباً على الأبناء_ إلا أنه يجدر بالآباء أن يعينوا أبناءهم على البر، وأن يشجعوهم، وألا يقفوا حجر عثرة أمامهم.

68_ حفظ الجميل للأبناء: فمما يحسن بالوالدين أن يحفظوا الجميل للأبناء، وأن يشكروهم عليه، ويذكروهم به؛ حتى ينبعث الأولاد للبر والإحسان، ويستمروا عليه.

69_ التغاضي عن بعض الحقوق: فيحسن بالوالدين أن يتغاضوا عن بعض حقوقهم، وألا يطالبوا أولادهم بكل شيء، بل يحسن بهم أن يوفر لهم ما بعدهم للكمال، والعلم، وسائر الفضائل خصوصاً إذا كان الوالد في نشاطه، والأولاد في حال إقبال على العلم، والقرآن، وسائر الفضائل، وهم في مقتبل أعمارهم. فإذا أخذ الوالدان بهذه السيرة كان الأولاد على مقربة من الكمال، والفضل، والعلم، والصالح. ولا ريب أن الوالد في هذه الحالة سيجني تلك الثمار في حياته وبعد مماته.

70_ استشارة من لديه خبرة بالتربية: من العلماء، والمدعاة، والمعلمين، والمربين، ممن لديهم خبرة في التربية، وسبرٌ لأحوال الشباب، وتفهم لأوضاعهم، وما يحيط بهم، وما يدور في أذهانهم، فحبذا استشارتهم، والاستئناس برأيهم في هذا الصدد، فهذا الأمر يعين على تربية الأولاد.

71_ قراءة الكتب المفيدة في التربية: فهي مما يعين على تربية الأولاد؛ لأنها ناتجة عن تجربة، وممارسة، وخبرة، وعصارة فكر، ونتاج تمحيص وبحث. ومن تلك التي يجدر بالمسلم اقتناؤها والإفادة منها ما يلي:

- أ_ العيال لابن أبي الدنيا.
- ب_ تحفة المودود في أحكام المولود لابن القيم.
- ج_ المسؤولية في الإسلام د. عبد الله قادري.

د_ أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع د. عبد الله قادري.

ح_ تذكير العباد بحقوق الأولاد للشيخ عبد الله الجار الله.

ط_ الأولاد وتربيتهم في الإسلام لمحمد المقبل.

ك_ نظرات في الأسرة المسلمة للدكتور محمد بن لطف الصباغ.

ي_ تربية الأولاد في الإسلام للشيخ عبد الله ناصح علوان.

72_ استحضار فضائل التربية في الدنيا

والآخرة: فهذا مما يعين الوالد على الصبر والتحمل، فإذا صلح الأولاد كانوا قرّة عين له في الدنيا، وسبباً لإيصال الأجر له بعد موته، ولو لم يأت من ذلك إلا أن يكفى شرهم، ويسلم من تبعثهم.

73_ استحضار عواقب الإهمال والتفريط في

تربية الأولاد: فالأولاد أولاده، ولن ينفك عنهم بحال من الأحوال، والعرب تقول: = أنفك منك وإن ذن⁽¹⁾ + ⁽²⁾، وتقول: = عيصك⁽³⁾ منك وإن كان أشباً⁽⁴⁾ + ⁽⁵⁾.

فإذا أهملهم وقصر في تربيتهم كانوا شجىً في حلقه في هذه الدنيا، وكانوا سبباً لتعرضه للعقاب في العقبى.

74_ خلاصة القول في تربية الأولاد: أن

يسعى الوالد في جلب ما ينفعهم، ودفع ما يضرهم عاجلاً وأجلاً.

الطبعة الأولى: 27 / 11 /

1414 هـ

الطبعة الثالثة: 18 / 2 /

¹ () ذن: سال مخاطه.

² () عيون الأخبار، لابن قتيبة، 3/89.

³ () عيصك: الجماعة من الصدر يجتمع في مكان واحد.

⁴ () أشبا: الأشب شدة التفات الشجر.

⁵ () عيون الأخبار، 3/89.

الفهرس

| | |
|---|--|
| 3 | _مقدمة |
| 5 | _التحذير من التقشير في تربية الأولاد. |
| 6 | _من مظاهر التقشير والخطأ في تربية الأولاد: |
| 6 | 1_ تنشئة الأولاد على الجبن، والخوف، والهلع، والفرع. |
| 7 | 2_ تربيتهم على التهور وسلاطة اللسان، والتطاول على الآخرين، وتسمية ذلك شجاعة. |
| 7 | 3_ تربيتهم على الميوعة والفوضى، وتعويدهم على الترف والنعيم والبذخ |
| 7 | 4_ بسط اليد للأولاد، وإعطائهم كل ما يريدون. |
| 7 | 5_ إعطاؤهم ما يريدون إذا بكوا بحضرة الوالد خصوصاً الصغار. |
| 8 | 6_ شراء السيارات لهم وهم صغار. |
| 8 | 7_ الشدة والقسوة عليهم أكثر من اللازم. |
| 9 | 8_ شدة التقدير عليهم. |
| 9 | 9_ حرمانهم من العطف والشفقة والحنان. |
| 9 | 10_ الاهتمام بالمظاهر فحسب. |
| 9 | 11_ المبالغة في إحسان الظن بالأولاد. |
| 9 | 12_ المبالغة في إساءة الظن بهم. |
| 1 | 13_ التفريق بينهم. |
| 1 | 14_ التسخط بالبنات. |
| 1 | 15_ تسميتهم بأسماء سيئة. |
| 2 | 16_ مكث الوالد طويلاً خارج المنزل. |

| | |
|--------|--|
| 4 | |
| 1 5 | 17_ الدعاء على الأولاد. |
| 1 6 | 18_ التربية على سفاسف الأمور، وسوء العبارات، ومرذول الأخلاق. |
| 1 6 | 19_ فعل المنكرات أمام الأولاد، وإقرارهم عليها. |
| 1 6 | 20_ جلب المنكرات للمنزل. |
| 1 7 | 21_ كثرة المشكلات بين الوالدين. |
| 1 7 | 22_ التناقض. |
| 1 7 | 23_ العهد للخدمات والمربيات بتربية الأولاد. |
| 1 8 | 24_ ترك البنات يذهبن للسوق بلا محرم. |
| 1 8 | 25_ إهمال الهاتف، وترك مراقبته في المنزل. |
| 1 9 | 26_ الغفلة عما يقرؤه الأولاد. |
| 1 9 | 27_ احتقار الأولاد، وقلة تشجيعهم. |
| 1 9 | 28_ قلة العناية بتربيتهم على تحمُّل المسؤولية. |
| 2 0 | 29_ عدم إعطائهم فرصة للتصحيح، والتغيير للأفضل. |

| | |
|----|--|
| 20 | 30_ سوء الفهم لنفسية الأولاد وطبائعهم. |
| 20 | 31_ قلة المراعاة لتقدير مراحل العمل التي يمر بها الولد. |
| 20 | 32_ الشماتة بالمبتلين. |
| 21 | 33_ قلة الاهتمام باختيار مدارس الأولاد. |
| 21 | 34_ إلحاقهم بالمدارس الأجنبية. |
| 21 | 35_ قلة التعاون مع مدارس الأولاد، أو انعدامه بالكلية. |
| 21 | 36_ الدفاع عن الولد بحضرتة_ خصوصاً في المدرسة. |
| 21 | 37_ ترك المبادرة في تزويج الأبناء مع الحاجة والقدرة. |
| 24 | 38_ إجبار الابن على نكاح من لا يريد. |
| 25 | 39_ تأخير زواج البنات بغير مسوغ شرعي. |
| 26 | 40_ تزويج البنات بغير الأكفاء. |
| 27 | 41_ إرغام البنت على الزواج بمن لا تريده. |
| 27 | 42_ دخول الوالد في كل صغيرة وكبيرة من أمر ولده إذا تزوج. |
| 2 | _تساؤلات. |

| | |
|---|--|
| 9 | |
| 3 | 10_ صور مشرقة من تربية السلف |
| 0 | لأولادهم. |
| 3 | _مناشدة. |
| 5 | |
| 3 | _السبل المعينة على تربية الأولاد: |
| 6 | |
| 3 | 1_ العناية باختيار الزوجة الصالحة. |
| 6 | |
| 3 | 2_ سؤال الله الذرية الصالحة. |
| 7 | |
| 3 | 3_ الفرح بمقدم الأولاد، والحذر من تسخطهم. |
| 7 | |
| 3 | 4_ الاستعانة بالله على تربيتهم. |
| 8 | |
| 3 | 5_ الدعاء للأولاد، وتجنب الدعاء عليهم . |
| 9 | |
| 3 | 6_ تسميتهم بأسماء حسنة. |
| 9 | |
| 4 | 7_ تكنيتهم بكنى طيبة في الصغر. |
| 1 | |
| 4 | 8_ غرس الإيمان والعقيدة في نفوس الأولاد. |
| 1 | |
| 4 | 9_ غرس القيم الحميدة، والخلال الكريمة في |
| 2 | نفوسهم. |
| 4 | 10_ تجنبهم الأخلاق الرذيلة، وتقيحها في نفوسهم. |
| 2 | |

| | |
|--------|---|
| 4 2 | 11_ تعليمهم الأمور المستحسنة، وتدريبهم عليها. |
| 4 3 | 12_ الحرص على استعمال العبارات المقبولة الطيبة مع الأولاد، والبعد عن العبارات المرذولة السيئة. |
| 4 3 | 13_ الحرص على تحفيظ الأولاد كتاب الله. |
| 4 3 | 14_ تحصينهم بالأذكار الشرعية. |
| 4 3 | 15_ الحرص على مسألة التربية بالقدوة. |
| 4 4 | 16_ الحذر من التناقض. |
| 4 4 | 17_ الوفاء بالعهد. |
| 4 4 | 18_ إبعاد المنكرات، وأجهزة الفساد عن الأولاد. |
| 4 4 | 19_ إيجاد البدائل المناسبة. |
| 4 5 | 20_ تجنيبهم أسباب الانحراف الجنسي. |
| 4 5 | 21_ تجنيبهم الزينة الفارهة، والميوعة القاتلة. |
| 4 5 | 22_ تعويدهم على الخشونة، والرجولة، والجد، والاجتهاد، وتجنبيهم الكسل، والبطالة، والراحة، والدعة. |
| 4 | 23_ تعويدهم الانتباه آخر الليل. |

| | |
|---|--|
| 6 | |
| 4 | 24_ تجنيبهم فضول الطعام، والكلام، والمنام، ومخالطة الأنام. |
| 6 | |
| 4 | 25_ تشويقهم للذهاب إلى المسجد صغاراً، وحملهم على الصلاة فيه كباراً . |
| 6 | |
| 4 | 26_ مراقبة ميول الولد، وتنمية مواهبه، وتوجيهه لما يناسبه. |
| 6 | |
| 4 | 27_ تنمية الجرأة الأدبية في نفس الولد. |
| 7 | |
| 4 | 28_ استشارة الأولاد. |
| 7 | |
| 4 | 29_ تعويد الولد على القيام ببعض المسؤوليات. |
| 8 | |
| 4 | 30_ تعويد الأولاد على المشاركة الاجتماعية. |
| 8 | |
| 4 | 31_ التدريب على اتخاذ القرار. |
| 8 | |
| 4 | 32_ فهم طبائع الأولاد ونفسياتهم. |
| 8 | |
| 4 | 34_ تلافي مواجهة الأولاد مباشرة. |
| 8 | |
| 4 | 35_ الجلوس مع الأولاد. |
| 9 | |
| 4 | 36_ العدل بين الأولاد. |
| 9 | |
| 4 | 37_ إشباع عواطفهم. |
| 9 | |

| | |
|--------|--|
| 4 9 | 38_ النفقة عليهم بالمعروف. |
| 5 0 | 39_ إشاعة الإيثار بينهم. |
| 5 0 | 40_ الإصغاء إليهم إذا تحدثوا، وإشعارهم بأهمية كلامهم. |
| 5 0 | 41_ تفقد أحوال الأولاد ومراقبتهم من بعد. |
| 5 1 | 42_ إكرام الصحبة الصالحة للولد. |
| 5 1 | 43_ مراعاة الحكمة في إنقاذ الولد من رفقة السوء. |
| 5 2 | 44_ التغافل_ لا الغفلة_ عن بعض ما يصدر عن الأولاد من عبث أو طيش. |
| 5 2 | 45_ البعد عن تضخيم الأخطاء. |
| 5 2 | 46_ اصطناع المرونة. |
| 5 3 | 47_ التربية بالعقوبة. |
| 5 3 | 48_ إعطاء الأولاد فرصة للتصحيح. |
| 5 4 | 49_ الحرص على أن يكون التفاهم قائماً بين الوالدين. |
| 5 4 | 50_ تقوى الله في حال الطلاق. |
| | 51_ العناية باختيار المدارس المناسبة للأولاد، |

| | |
|---|---|
| 5 | والحرص على متابعتهم في المدارس. |
| 4 | |
| 5 | 52_ إقامة الحلقات العلمية داخل البيوت. |
| 5 | |
| 5 | 53_ إقامة المسابقات الثقافية بين الأولاد، ووضع |
| 5 | الجوائز والحوافز لهم . |
| 5 | 54_ تكوين مكتبة منزلية ميسرة. |
| 5 | |
| 5 | 55_ اصطحاب الأولاد لمجلس الذكر. |
| 5 | |
| 5 | 56_ الرحلة مع الأولاد. |
| 5 | |
| 5 | 57_ ربطهم بالسلف الصالح في الاقتداء |
| 5 | والاهتداء. |
| 5 | 58_ العناية بتعليم البنات ما يحتجن إليه من أمور |
| 6 | دينهن ودنياهن. |
| 5 | 59_ منع البنات من الخروج وحدهن. |
| 6 | |
| 5 | 60_ منع البنات من التشبه بالرجال، ومنع البنين |
| 6 | من التشبه بالنساء. |
| 5 | 61_ منع الأولاد بنين وبنات من التشبه بالكفار. |
| 6 | |
| 5 | 62_ منع البنين من الاختلاط بالنساء، ومنع البنات |
| 6 | من الاختلاط بالرجال. |
| 5 | 63_ العناية بصحة الأولاد. |
| 7 | |
| 5 | 64_ عدم استعجال النتائج. |

| | |
|--------|---|
| 7 | |
| 5 7 | 65_ الحذر من اليأس. |
| 5 8 | 66_ اليقين بأن التربية الصالحة لا تذهب سدى . |
| 5 8 | 67_ إعانة الأولاد على البر. |
| 5 8 | 68_ حفظ الجميل للأولاد. |
| 5 8 | 69_ التغاضي عن بعض الحقوق. |
| 5 8 | 70_ استشارة من لديه خبرة بالتربية. |
| 5 9 | 71_ قراءة الكتب المفيدة في التربية. |
| 5 9 | 72_ استحضار فضائل التربية في الدنيا والآخرة. |
| 5 9 | 73_ استحضار عواقب الإهمال والتفريط في تربية الأولاد. |
| 6 0 | 74_ وخلاصة القول في تربية الأولاد أن يسعى الوالد في جلب ما ينفعهم، ودفع ما يضرهم عاجلاً وأجلاً. |